

رواية

الملكة

للكاتبة

كريمة شاهين



تأليـــف

الكاتبـــة

كريمـــة شـاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)



الأستاذة الفاضلة / كريمة محمود شاهين

مؤلفة رواية استير الملكة

تحية طيبة وبعد

أشهد بأنني أنا / مهندس إبراهيم علي علي ماضي رئيس مجلس إدارة جمعية مربي النحل بالغربية والأمين العام المساعد للاتحاد النحالين العربي بأن الرواية هذه قد روجعت من الناحية العلمية وكل المعلومات التي تخص النحل سليمة ودقيقة وتجعل الرواية رائعة ونهنئك عليها

وفقك الله لما فيه خير الوطن

مهندس / إبراهيم علي ماضي

ذهل استيلاس، وامتلكه الرعب حينما أبصر إحدى النحلات قد خرجت من خليتها المسئول عن حراستها، وطارت بعيدا عن المزرعة التى يعمل بها فى أطراف مدينة رأس الخيمة بدولة الإمارات، منذ أتى إليها من موطنهالهند .. وازداد رعبا عندما لمح كثيرا من النحل قد ترك خلاياه الموجودة بالمنطقة، وفر وراءها.. ولم يستطع السيطرة عليه، فراح يجرى فى المزرعة هنا وهناك صائحا ملتاعا:

– ويلى ..ويلى .. حتما سيفصلنى الشيخ مسعود من مزرعته. وظل يجرى حتى هده الإعياء ، فاستند إلى جزع شجرة وأخذ يحادث نفسه من خلال شهقاته ، وقد سرح فى موطنه الهند..

– أأعود إليه خاوى الوفاض؟

لقد أدميت قدماى هناك بحثا عن عمل دون جدوى، منذ حصلت على الشهادة المتوسطة كآلالف العاطلين ...

وماذا أقول لعمى الذى رعانى فى الصغر بعد موت أبوى ، وقد علق أمالا كبيرة على عملى هذا؟

ثم جفف عرقا يتصبب منه واهتز من شدة النحيب حينما تذكر الحسناء (رولاتا) ابنة عمه التى اضطر أبوها لبيعها حينما ازدادت حالته سوءأ.. وتنهد فى مرارة..

– آه كانت أكبر أخواتها سنا، وأقربهم إليه موده ورأفة كم بكى كثيرا يوم بيعها ، حتى أشفق عليه أبوها وأخذ يختلق له المعاذير:

– الديون ياولدى عبء ثقيل.. حاول آلا تقع تحت سلطانها. يومها تطلع إليه استيلاس بنظرات خانقة ثم قال له:

– العار يمزقنى .. والعجز يشلنى .

مسح العم على رأسه ، وقال حائرا ، وهو يشير بسبابته إلى أبنائه التسعة.

– ألا ترى ؟ .. بطوننا خاوية .. وأبناء لا يرحمون.

وأقبلت امرأة عمه وقالت لا هثة بسبب ربو دائم ، وخفقان بالقلب :

– وجود "رولاتا" بيننا كان الشبع والرى.

صرخ فيها مهتاجا:

– الديون كانت ستدخلنى السجن يا امرأة .

انتفض استيلاس .. ونهض واقفا .. ثم صاح معترضا ، بينما الصغار من حوله يبكون .

– السجن حرية ، وبيع رولاتا عبودية ، ومذلة ياعماه .

وانطلق استيلاس وخرج من بيت عمه هائما على وجهه فى شوارع "بومباى" يبحث عن عمل تارة ، ويقذف كل شئ يقابله بالطوب، والحجارة تارة أخرى ..

قذف اللافتات ، والقطارات ، وأعمدة الكهرباء ، وحتى البقر الذى يتخذه وقومه آلهة فى معتقداتهم .. وكأنه كان يثأر لحبيبته (رولاتا) ، ويصب لعنته على كل شئ على الفقر والجهل والمرض ، والجشع ، والمآس التى

خاض عمه غمارها حتى كسر ظهره وانحنى ، ولم يعد فى استطاعته القيام بأى عمل .. وهرولت وراءه امرأة عمه خوفا عليه، فلمحته يقذف قصر السيد "باتشا" الذى اشترى ابنتها (رولاتا) وكان يناديها من بين شهقاته الحارقة:

– رولاتا .. ماذا يفعل بك (باتشا) الآن؟.

رولاتا لن أدعه يأخذك منى ..

ستعودين يوماً إلى ياحبيبتى ..

سأفعل المستحيل لأرد إليه نقوده .. رولاتا .. رولاتا .. رولاتا .

اقتربت منه زوج عمه ، وضمته إلى قلبها المريض بقوة وأخذت تبكى معه .. فقد رأت فى تصرفاته تعبيراً صارخا عن بيئة مظلومة .. وأوضاع مقلوبة ..

ويوم أن حصل على عقد عمل بهذه المزرعة، وحملته الباخرة مع باقى المسافرين إلى الخليج العربى .. أقسم أن يتفانى فى العمل ويجمع الأموال ليعيد إلى حبيبته حريتها المسلوبة.

ولكن كيف يتحقق ذلك الحلم ، وصاحب المزرعة سيطرده منها لا محالة؟!

أفاق استيلاس من شروده على يد الشيخ مسعود وهو يهزه برفق .. فهب واقفا ، ثم انحنى أمامه عدة انحناءات ، وحياه بيدين مرتعشتين .. وكان

الشيخ عالما جليلا ، وتقيا ورعاً، ومن كبار المشتغلين بالنحل ، وسأله بصوت رحيم :

- ماذا بك يا فتى ؟ أراك مرتبكا ممتقع الوجه.

تلجلج استيلاس ، ثم قال بصوت منكسر ذليل :

- أعترف ياسيدى أن خبرتى بالمناحل ما زالت قليلة ، لكننى أتبع كل إرشاداتك .

أكمل الشيخ قائلا :

- وأراك وأنت تساعد المزارعين ، وتكافح أعداء الخلايا.

- نعم ياسيدى ، أكافح الحيوانات ، والزنابير ، والفئران وفراشات السمسم، وطائر الوروار ، قبل أن يقتحموا الخلايا الخشبية المتحركة ، ويسرقوا منها العسل أو يلتهموا النحل حتى أننى صرت صديقا للنحل ، فلا يهاجمنى مطلقا لأننى أدافع عنه فطمأنه الشيخ قائلاً.

- أعرف كل ذلك ، ولم أتهمك بالتقصير منذ تسلمت العمل بمزرعتى ، فلا تبتئس.

لكن استيلاس تمتم فى ذعر:

- بل أهملت، لكن بغير قصد ياسيدى .. فالنحل فر رغما عنى إلى الفضاء البعيد.

ابتسم الشيخ فى رقة ، وأخذ يحادثه باللهجة الهندية التى يعرفها منذ زمن بعيد ، بسبب تعامله الدائم مع العاملين من الهنود فى مزرعته ، ولكثرة أسفاره إلى بلاد الهند للتجارة ،

فقال له :

– لا عليك .. إننا الآن فى فصل الإخصاب، ولم يفروا منك كما تتوهم.

قال استيلاس ذاهلاً :

– لا أفهم ياسيدى .

فأعطاه الشيخ منظارا مكبرا كان بيده واستأنف الحديث:

– أنظر .. هؤلاء ذكور النحل يفرون خلف ملكة النحل التى يطلق عليها اسم اليعسوب أو الأم .. والتى هى أهم فرد فى الخلية ، وقد فر الذكور وراءها لتختار الملكة واحدا منهم فيلقحها.

تنهد استيلاس فى ارتياح ، فقد اطمأن لبقائه فى العمل وبهذا سيحقق الأمل المنشود .. وعاد للمنظار لكنه صاح فى ذعر :

– سيدى .. سيدى .. إن كثيرا من الذكور يتساقط ميتا. أصلح الشيخ غطرته ، وأحكم عقاله ، ثم قال بثقه الخبير بحياة النحل :

– إنهم يموتون من الإجهاد ، بينما تسبقهم الملكة فى طبقات الجو العليا .

ضحك استيلاس وقال متكهنا .

– كأنها تختبر قوتهم .

- تماما ، وفى النهاية ستسمح لأقربهم إليها ، وأقواهم بتلقيحها، ثم يموت الذكر الملقح هو الآخر على الفور.

قال استيلاس :

- شئ يثير الدهشة.

- وتندهش أيضا حينما تعرف ما يدور داخل الخلايا من اسرار.

- أتحرق شوقا للمعرفة ياسيدى .

- فى لقاء أخر إن شاء الله.

وانصرف الشيخ إلى مسجده المجاور لاستراحته ليؤم مريديه وتلامذته فى صلاة الظهر ..

فى حين وقف استيلاس يرقب المصلين من بعيد وهم يتوافدون إلى مسجد الشيخ بالمزرعة .. كانوا يرتدون جلابيب بيضاء وكأنهم ملائكة هبطوا من السماء إلى الأرض بل إلى واحة قدسية .. يشرق النور والإيمان فى وجوههم .. يتصافحون فى ود .. ويبتسمون فى حب ، ويتهامسون فى رضى ..

وتعجب استيلاس لحياتهم ، ولا يدرى ما الذى ألف بين قلوبهم ، لا يدرى وأيقظه من شروده ، صديقه (محمد غلوم)الباكستانى وسلمه خطابا ، ثم استأذن ليلحق صلاة الظهر بالمسجد ..

ومحمد غلوم هذا ، يعمل سائق أجرة "تاكسى" يمتلكها الشيخ مسعود، وبحكم عمله ، يأتى المزرعة من حين لآخر ليعطى الشيخ حسابه،

فتوالدت بينهما صداقة، وعلى يدية انفرجت أزمة الرسائل ، باشتراكه فى استئجار صندوق بريد ومع عدد قليل من معارف (غلوم) ومنذ أعطاه رقم الصندوق .. وهو يتبادل الرسائل مع أهله فى "بومباى" ومحمد غلوم هو حلقة الاتصال لبعد الصندوق فى دبى مقر سكنه. جلس استيلاس على مقعد أمام المناحل وفض الخطاب .. كان من عمه "روبى".

قرأ عبارات الشوق والسلامات .. على عجل ، ثم كتب عمه يقول: أى ولدى استيلاس ..

لقد ذهبت بالمبلغ الذى أرسلته إلى السيد (باتشا) لكى يعيد إلى إبنتى رولاتا على أن تسدد له باقى ثمنها على أقساط متقاربة .. كما اتفقت معى من قبل،

وأذهلنى قصره المهيب وحديقته الواسعة الغناء ، حتى أننى كدت أنسى غرضى من الزيارة ..

تخيل يا بنى أسقف القصر من الداخل متعددة الأشكال، صنعت من خشب الصندل ، وبه زخارف وفرش ، وتماثيل مرمرية تدير العقول .. وتم اللقاء ، لكن ما إن اقتربت منه ببدنى المنحنى ، وعرفته غرضى من مقابلته ، ومددت إليه يدى بالمبلغ حتى نهرنى ياولدى ، ثم أمر خدمه بطردى وقذف النقود فى وجهى .. ومنعنى من مقابلة ابنتى رولاتا.

اغتم استيلاس ، وازداد غما عندما قرأ باقى السطور.

- لا تفكر فيها يا استيلاس ، لقد ألقتك رولاتا خارج حياتها. فرك استيلاس عينيه غير مصدق لما يقرأ .. ثم هب واقفا كالملسوع وهو يكمل الرسالة التى تقول :

نعم يابنى .. فقد زرت ابنتى ذات يوم خلسة ، وكان السيد باتشا خارج بومباى .. وقالت لى أن أبلغك ألا تتشبث بخيوط الأمل الواهية .. وأنها تعيش حياتها مع باتشا سعيدة راضية ، مستمتعة بالهناءة . والرغد ثم اختتم عمه الرسالة قائلا :

- عش حياتك ياولدى، وابحث عن غيرها ، فالسيد باتشا متمسك بها كما هى متمسكة به .. عمك روبى .

طوى استيلاس الرسالة وهو يتمتم فى اسى بالغ:

- كل المعانى الجميلة تموت " كأننى فى غابة مليئة بالذئاب .. بالغدر بالوحوش الضارية ..

وتطلع إلى خلايا النحل تائها ، حتى أنه لم يشعر بيد الشيخ مسعود وهى تربت على رأسه .. وهو يقول له :

- ما هذا اليأس يا بنى ؟.

تنبه ، وتطلع إليه بعيون دامعة .. ثم مد إليه يده بالرسالة .. ولما قرأها الشيخ قال له مواسيا :

- ليست (رولاتا) كل الدنيا يا ولدى .

- كانت لى الدنيا بأسرها ياسيدى.

- شعور سام ، خفق فى صدرك أنت وحدك.

- رولاتا كانت الحياة والحب والآمال العريضة.

- الحب من طرف واحد محكوم عليه بالتعاسة فى أغلب الأحيان ..

- أتعذب ياسيدى .. أشعر أننى لا شئ .

ربت الشيخ على رأسه .. ثم قال :

- غدا تنسى ، وتستمر الحياة .

- أحقا ستستمر الحياة ؟

- الحياة لا تتوقف يا بنى .. إلا بالموت .

- آه .. ليتنى أموت .

أدار الشيخ دفة الحديث ، حتى يبعده عن مأساته ، فقال له:

- أتعرف الإنجليزية؟

- وأتقنها يا سيدي.

- إذن من اليوم .. لك حرية التصرف فى الاطلاع على مكتبتى بالاستراحة .. إن بها مؤلفات كثيرة مترجمة باللغة الإنجليزية ..

القراءة متعة ، ستنسيك أحزانك ، وتملأ حياتك بالشئ المفيد .. أتعدنى؟.

- أعدك ياسيدى.

ثم قال الشيخ .. وقد تذكر ..

- هل رجعت الملكة إلى خليتها ؟

نعم ياسيدى .. عادت منذ قليل سالمة.

قال الشيخ مبتسما :

- وكاملة الإخصاب ، وستبدأ مباشرة مهمتها كأم على الفور.

- كيف ؟ قال الشيخ وهو يرتدى واستيلاس اللباس الواقى للتحصين من لسع النحل القاتل

- سأشرح لك .. فقد وعدتك، ثم وقفا أمام أحد الخلايا.

شعر استيلاس بالألفة والارتياح مع الشيخ مسعود، وهو يشرح له ويستفيض بأسلوب عبقرى علمى عما يدور داخل الخلايا من أسرار يحار العقل البشرى فيها، وبدأ بمهمة الملكة بأنها تبدأ بتخزين المادة المنوية للذكر فى غدة خاصة فى جوفها بعد تلقيحها أثناء رحلتها العجيبة وترجع إلى خليتها أنثى كاملة الإخصاب ، وقبل أن تبدأ مباشرة مهمتها كأم بوضع البيض فى العيون السداسية المهيئة النظيفة والذى يفقس يرقات صغيرة جدا تصير فيما بعد إما ملكات أو شغالات أو ذكورا .. أقول قبل أن تضع الملكة بيضها لابد أولا أن تحدد بدقة تامة وتتحكم بمعرفتها فى تعيين النوع المطلوب لصالح الخلية ، وعدد كل منها إنها العقل المفكر والمدبر الذى يتصرف طبقا لحالة الخلية من حيث الكثافة والمواد الغذائية المخزونة داخل الخلية وحالة الرحيق فى الخارج وحالة الجو ، فإن كانت الحالة مواتية من تحسن الجو وكثرة المخزون من العسل ، واتساع الخلية .. ووجود مصادر غذائية جيدة ، فإن الملكة تنشط فى هذه الحالة نشاطا كبيراً ، وتضع عددا كبيرا من البيض يفقس

معظمه شغالات وبه عدد من الذكور والملكات، أما إذا كانت متوسطة فإنها تضع شيئا قليلا يوازى الفاقد من النحل الهالك ..

قال استيلاس فى ذهول:

- إنها مقدرة فريدة من نوعها إذ إن الملكة تتحكم فى وضع البيض كثيرا أو قليلا.

أضاف الشيخ:

- أو تتوقف الملكة كلية عن وضع البيض، وهذا كله تبعا للمصلحة العامة.

قال استيلاس مندهشا، وقد نسى تماما مأساته:

-" مع أن المعروف عن المخلوقات الأخرى أنها لا تستطيع التحكم فى تأخير أو تقديم نزول الجنين أو البيض من بطنها".

أضاف الشيخ:

- كما لا تستطيع تحديد نوعية الجنين، أما ملكة النحل فهى التى تحدد نوع الأجنة من شغالات وذكور وملكات، وكذلك تحدد عددها تحديدا متناهيا فى الدقة بحيث لا يزيد ولا ينقص عمًّا أرادت، فإذا وضعت بيضة فى بيوت الشغالات ولقحتها بجزء من المادة المنوية وذلك بإفراز شئ منه على البيضة بعد وضعها أو أثناء إخراجها فإن هذه البيضة ستخرج شغالة،

قال استيلاس : وإذا لم تفرز عليها المادة المنوية؟

- تخرج ذكرا ، وإذا وضعت البيض فى بيت ملكى ولقحتها بإفراز جزء من المادة المنوية فإن هذه البييضة ستخرج ملكة.

هتف استيلاس فى ذهول :

- ياللروعة البالغة .

هز الشيخ رأسه وقال:

- إن النحل يابنى مجتمع يعيش مع بعضه متعاونا أكمل التعاون وراضيا كل الرضا عن أداء كل نوع بالمهمة التى أسندت إليه .. ولا مكان للعاطلين بينهم .

- ولماذا لا تبيض شغالات النحل؟

- شغالات النحل لا تبيض لأنهن عقيمات،

- لا تبيض أبدا؟

- إلا فى حالة واحدة فقط ، وهى :إذا فقدت إحدى الخلايا ملكتها، فإن شغالات النحل تنتخب واحدة من بينهن ، وتجعلها ملكة ويعطينها صلاحيات الملكة ، فيعفينها من الخدمة العادية وسوف أحدثك فيما بعد عن خدمة الشغالات والأدوار الهامة بها داخل الخلية وخارجها – ويقمن بتغذيتها " غذاءاً ملكيا" مثل الملكة الأصلية ، وهنا تحدث تغيرات فسيولوجية فى جسم الشغالة ويتكون لها عنقود من البيض فتضعه داخل البيوت الشمعية السداسية ، ونظراً لأن هذا البيض لم يلقح لأن هذه الملكة المزيفة لم تتزوج ، فإن جميع بيضها يفقس ذكورا. وبما أن عمر الشغالة

لا يزيد عن شهر فى المتوسط ، فإن الخلية ستخسر كل يوم ما تفقده من الشغالات التى تموت ولا يفقس غيرها ، وفى الوقت الذى يزيد فيه عدد الذكور الذين لا هم لهم إلا استهلاك مخزون الخلية من غذاء

صاح استيلاس مستنتجا :

- إنه الفناء المحتوم للخلية خلال شهر ياسيدى

قال الشيخ :

- هذا صحيح إذا لم تنقذ الخلية، ويعاد إليها توازنها واستئناف حياتها بوجود ملكة جديدة حقيقية، وجدير بالذكر أن عمر الملكة الحقيقية سبع سنوات، بينما عمر الشغالة ثمانية وعشرون يوما فقط، والملكة الحقيقية أنثى مخصبة كاملة تبيض فى حياتها مليون ونصف المليون بيضة بينما لا تبيض الشغالة أبداً لأنها عقيمة كما نوّهت لك من قبل .

عاد استيلاس فسأل الشيخ فى إهتمام :

- وما مصير الملكة المزيفة فى حالة وجود الملكة الجديدة الحقيقية ؟

- سؤال هام .. فى هذه الحالة تقوم شغالات النحل بقتل الملكة المزيفة .

- لماذا ياسيدى ؟

- أولا لأن الخلية لابد أن يكون فيها ملكة واحدة ، ثانيا أن الملكة الكاذبة أو المزيفة لن تعود بطبيعة الحال للخدمة مرة ثانية كشغالة وكما قلت لا مكان لمن لا عمل له بينهن .. وبهذا تستمر الملكة بعد فقسها ومباشرتها حياتها وتتناول الغذاء الملكى طول حياتها.

- ومن أين يأتيها هذا الغذاء؟.

- تقوم الشغالات بفرز مادة الغذاء الملكى لجميع اليرقات من ملكات وشغالات وذكور لمدة يومين فقط ، وتعطى لها بكميات ضئيلة جدا تناسبها نظرا لصغر اليرقات ، وبعد يومين تكون اليرقات قد كبرت قليلا ومن اليوم الثالث تمنع هذه المادة عن يرقات الشغالات والذكور دون الملكات ..

- أفهم من ذلك ياسيدى أن الملكات هى التى تتغذى على غذاء الملكات حتى أخر عمرها؟.

-" تماما .. أما يرقات الشغالات والذكور يبدأ فى تغذيتها بمزيج من العسل.

- وحبوب اللقاح المأخوذة من الزهور التى امتصتها الشغالات من قبل، وتستمر اليرقات على هذا الغذاء إلى اليوم الخامس ، حيث تغطى بغطاء شمعى ذى لون ، وحجم خاص ، فغطاء بيوت الشغالات يخالف غطاء الذكور.

- ولماذا الغطاء الشمعى ياسيدى ؟.

ليعزلها عن الجو لمدة خمسة وعشرين يوما ، وحيث تتحول اليرقة إلى حورية ثم إلى فراشة كاملة ، فتثقب الغطاء الشمعى لتخرج إلى الحياة ، وتتناول من الغذاء ما يسمى بخبز النحل وهو مكون من العسل ، وحبوب اللقاح كما أسلفت أما الملكة فتتغذى على غذاء الملكات طوال أطوار

حياتها حتى تصل إلى سبع سنوات كاملة إلى أن تفنى ، وذلك لأن غذاء الملكات يعطى نشاطا كبيرا وحيويه غير عادية ويساعد على نمو الملكة وإطالة عمرها ...

قال استيلاس مازحا :

- ألست معى أنها تفرقه عنصرية فى مسألة الغذاء بين النحل كالتى تمارسها الدول الظالمة للشعوب المظلومة من بنى الإنسان؟

ضحك الشيخ مسعود وقال:

- ولكن التفرقة هنا للمصلحة العليا لمجموعة الخلية والكل راض عن حياته ، قائم بأعماله على أكمل وجه بدون ضغط أو توجيه من أحد ، وليس فى صدورهم غل كالذى يسيطر على قلوب كثير من بنى البشر .

ثم أحكم الشيخ عقالة وهم بالإنصراف وهو يقول ونكتفى بهذا القدر من الحديث .. على أن نستكمله فى المرات القادمة بإذن الله .

وتركه الشيخ ، وانصرف لبعض شئونه بعد أن بدل اللباس الواقى بملابسه العربية .. وتوجه استيلاس إلى غرفته ليخلعه هو الآخر فوقعت منه الرسالة فأمسك بها وتنهد فى مرارة يَجْتَرُّ الذكريات:

أبهذه السرعة صرت عندك ذكرى (يا ابنة العـــم)؟.
وأنـــا الــــذى كنـــت أهفـــو إلــــى رؤيــــاك ؟
ومـــــا تغربـــــت إلا مــــن أجلـــــك.
مــــن أجـــل رضــــاك .. أو تـــذكرين ؟
كــــم نــــازلتنى فـــى الحيـــــاة نوائـــب.
ســــود شـــــداد فاجتلاهــــا ســــناك
كــــم بـــت مســـهودا وليلــــى حالــــك .
وأنـــين وأشـــواق ودمـــــوع ملهـــــوف
وآهـــــات مكلـــــوم منــــاه رضــــاك
وأشـــــــــــــــــــــــــــــقوتى ..
أحقـــا ضــــاع حبـــى وســــر حيــــاتى
ودوحــــة روحــــى وحلمــــى الوحيــــد؟!
وشـــــــــــــــــــــــــــــذاك؟
ألــــــم يرطــــــب حــــــرّ فـــــؤادى
كريمـــــا بكـــــل عطــــــاء يجــــود؟
كــــم داعبـــت أعطافــــك الحانيــــات
بلمســـــــة صـــــب وفـــــــى ودود
ولثمـــــت أجفانـــــك المســــبلات
وارتشـــفت الحـــب منـــك دون صـــدود ..؟
ثـــم صـــاح اســـتيلاس وارتمـــى فـــوق الفـــراش
آه .. الأقــــوى يفعـــل مــــا يريـــد ..

باتشا أيها الغريم اللعين قطفت زهرة حبى الوحيد لكنك اشتريتها .. لم تفز بها .. أغريتها ... وأغرقتها .. بالوعود ولا تدرى أنك سرقت منى زهرة عمرى وحبى الفريد، وتمدد فى سريره ، وطوى الرسالة بين جوانحه وما يدرى أن السطور تبللت فزالت وانمحت بدموعه إلا فى صباح اليوم التالى..

تألم محمد غلوم لمأساة استيلاس عندما قصها عليه وقال له ذات مساء .

– جئت أصطحبك معى فى نزهة إلى معالم دبى ، إنها أكبر إمارة فى الإمارات السبع بعد مدينة "أبو ظبى" العاصمة .

فأدرك استيلاس أنه أراد بهذا التصرف التخفيف عنه ، وانتشاله من محنته العنيفة ، فشكره قائلا :

– دائما صاحب فضل يا صديقى .

الفضل لله وحده.

وانطلقا معا فى السيارة الأجرة ، يجوبان شوارع المدينة المرصوفة النظيفة اللامعة ، فانبهر بمبانيها الشاهقة الفخمة التى تتألق على ساحل الخليج العربى ، وحول فروعة الممتدة وسط المدينة ، والذى يطلق عليه "الخور".

ونسى همومه وهو يشاهد الأسواق التجارية النشطة التى تغص بجنسيات متعددة من البشر يسيرون جنبا إلى جنب فى اطمئنان وأمان ، ويمارسون الأنشطة المختلفة فى الأندية الرياضية وفى الحدائق الخضراء البديعة ..

حتى الأطفال رآهم يلعبون فى أماكن مخصصة لهم ،كما مر به (محمد غلوم) فى الأنفاق وفوق الجسور المضاءة كلها بمصابيح ملونة بجميع الألوان التى تبهر النفس وتريح العيون ورأى المدارس ، والمصانع، والمخازن ، والفنادق" لأول مرة يرى هذه الروعة بحق ، فمنذ هبط من المركب بساحل رأس الخيمة ، وقصد مزرعة الشيخ مسعود ، لم يغادرها، فقد أخذته دوامة العمل فى مساعدة المزارعين تارة ، وحراسة المناحل تارة أخرى .. صدق من قال إنها لؤلؤة الخليج".

وتعجب حينما شاهد كنائس ، ومعابد فقال :

– كنت أحسب أنه لا يوجد فى بلد عربى غير المساجد.

ابتسم محمد غلوم وقال له:

– حرية العبادة مكفولة للمسيحيين ولأهل الكتاب وفى كل بلد عربى وإسلامي.

ثم أضاف وهو يقف لرجل أراد الركوب "

– لا إكراه فى الدين ...

وهم أن يسأله سؤالاً آخر .. لكن الرجل فتح الباب الخلفى ودلف فى السيارة .. وما إن جلس ، سأله محمد غلوم على الفور ، بلهجة عربية مكسرة ، وقد أطال النظر إليه ، ودقق فى ملامحه:

– أنت مصرى أليس كذلك؟.

رد الراكب مندهشا :

– أجل .. أنا مصرى .

وانطلق محمد غلوم بالتاكسى ، فسأله المصرى متعجبا:

– أتفحص كل مصرى يركب معك؟

رد محمد غلوم متلعثما.

– معذرة يا سيدى .. فأنا أبحث عن عنوان (فلان) بعد أن تعذر على معرفته ، فهل تعرفه؟

– أسمع عنه ، لقد كان رجلا طيبا خلوقا .. رحمه الله .

– أتعرف عنوانه بمصر ، فمعى لورثته أمانة.

– مع الأسف .. لا أعرفه.

ونزل الرجل بعد عدة دقائق ، واستأنف السائق المسير، ودهش استيلاس حينما قص عليه محمد غلوم حكايته مع ذلك الرجل الطيب الذى أقرضه مبلغ ألف درهم ، لحين ميسرة .. ومات الرجل قبل أن يرد إليه وديعته ، وأنه بلغ عدد المفحوصين من المصريين خمسمائة ، واستغرق الفحص والسؤال عامين، وإثنى عشر يوما تقريبا ، وبسؤالهم أفادوا أنهم لا يعرفون له عنوانا حتى جيرانه.

قال استيلاس مستهينا:

– ولم كل هذا العناء يا صديقى ؟.

هز محمد غلوم رأسه وقال فى تأثر (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ)

– ماذا تعنى ؟.

تنهد محمد غلوم وقال له موضحا باللهجة الهندية التى كان يعرفها رغم أنه باكستانى

- الأمانة ياعزيزى ، الأمانة شئ ثقيل على كاهلى ، صدق الله تعالى حينما قال (إنا عرضنا الأمانة)

ثم أخذ يفسر الآية وآية أخرى (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ)

ثم أخذ يفسر له معنى الآية.

رد استيلاس فى حماس :

- لكن صاحب المبلغ مات ، ولم تستدل على عنوانه ، ولن يلومك أحد ، ولن يراك أحد إذا أنفقتها..

- "بل الله ناظر إلى ، وشاهد على .. فكيف أعصيه ؟

قال استيلاس وقد ازداد حيرة:

- من علمك هذا ؟

- إمام المسجد الذى أصلى فيه .

- ومن علم إمام المسجد؟.

- تعلم علوم الدين فى الأزهر الشريف بمصر .

شعور غامر بالأمان خالج استيلاس تجاه صديقه الباكستانى.

وإنتهت النزهة، وصحبه محمد غلوم إلى بيته لتناول العشاء" وبعد لحظات.. أقبلت اخته مريم من الداخل حاملة الطعام.. بعد أن فرغت من خدمة زوجة أخيها التى تقوم على رعايتها منذ وضعت(عبد الرحمن) وعادت به من المستشفى إلى البيت بسلام.. وذلك بجانب عملها فى التدريس.

وضعت مريم الطعام أما مهما فوق الطاولة بعد أن استأذنت بالدخول ولا يدرى كيف خفق قلبه لرؤيتها .. إبتسم لها .. فخبأت وجهها استيحاء ، ثم ابتعدت فى حركة سريعة فتزحلق الغطاء الشفيف عن شعرها الناعم المنسدل ، ومرقت إلى الداخل .. كانت ممشوقة القوام .. سمراء فاتنة الملامح .. مكحولة العينين بغير كحل وردية الخدين بدون أصباغ صناعية ولكنه لم يفكر فى هذا بقدر ما كان يفكر فى سلوكها وحيائها وأدبها .. إنه أمام شخصية تختلف كل الاختلاف عن ابنة عمه الغادرة فرأى أن المستقبل يبدو مشرقا .. واعدا ..
وقال فى نفسه لابد أن أنساك يارولاتا كما نسيتنى.

****

سكن الليل ، والطيور آوت إلى أوكارها ، ويطل استيلاس من نافذه حجرته .. نابشا الذاكرة، وما صار بالأمس حلما.. ضائعا وبدت له (رولاتا) شيئا تافها لا قيمة له بالنسبة لمريم الدمثة الحييَّة ..

تقلب فى سريره .. لا يشعر بأدنى رغبة فى النوم .. إن خيال مريم يلح عليه .. يملأ جوارحه .. ولا يغيب عن ناظريه .. لقد تسلط عليه بصورة لا يمكن الخلاص منها .. إنها تشيع الدفء والأمان فى جنبات روحه الظمأى وكيانه.

حتى إنه تمثل صورتها فى الصباح وهو واقف أمام الخلايا كملكة متوجة تطير وتحلق فى الفضاء البعيد الواسع كاليعسوب بأجنحة شفيفة قوية سريعة تماما كملكة النحل .. ويطير هو خلفها بسرعة تضاهى سرعتها القوية المذهلة .. فى طبقات الجو العليا ..

ولكن .. ترى ستسمح لى مليكتى بالاقتراب منها ؟

أم ؟!.

وهنا صاح مذعورا .. وردد قائلا :

– كلا .. كلا .. لا أتحمل الفشل مرتين .. لا أقوى على ذلك .. لا أستطيع .. لا أستطيع..

وقف استيلاس أمام الحجرة التى وضع فيها مسعود أربع عشرة خلية خشبية وترك نافذتها مفتوحة لمرور النحل السارح والعائد من المزارع والحقول .. ووقف يحرسها ويرقب تحركات النحل ويذود عنهم الأعداء كعادته ، فلفت نظره كثرة عدد النحل الخارج والداخل ، وامتلأ المكان به، وكان ينطلق كالقذائف من فتحة الشباك ذهابا وإيابا ، وتعجب عجبا شديدا لأنه لم يجد جناحا واحدا لمس آخر ، رغم فتحة النافذة الضيقة ،

ومع أن هذا العدد كان يحتاج إلى مساحة تساوى عشرة أضعاف النافـذة ومع ذلك لم يقع حادث تصادم واحد ، فتذكر على الفور القطارين اللذين اصطدما فى الزمن الغابر وراح والداه من ضمن الضحايا .. كما تذكر ، تصادم الأشخاص من بنى الإنسان فى شوارع الهند المزدحمة بالمارة ..

وأفاق استيلاس من حيرته على صوت الشيخ الندى .. وهو يحدثه مشيرا إلى النحل قائلا :

- هؤلاء شغالات النحل .. إنه ينشط نشاطا عظيما قبـل موسـم جمـع الرحيق فيبدأ فى تنظيف جميع أجزاء الخلايا الخشبية لتبدو وكأنها غسلت بالماء المغلى ، والصابون .. ثم يفرز الأقراص الشمعية الجديدة ليضـع فيهـا العسل ، ويربى صغاره.

قال استيلاس مبهوتا:

- ألهذه الدرجة يبلغ النحل هذا الحد من النظافة؟.

إبتسم الشيخ وقال :

- ولا يتبرز أبدا داخل الخلايا ، بل يفعل ذلك خارجها.

- وإذا حبس داخل الخلية ؟

- يموت متسمما من عدم التبرز ولا يفعلها أبداً داخلها.

- هناك قول شائع سمعته أن العسل هو براز النحل.

- هذا خطأ فاحش ، فالعسل يخرجه من فمه ، ويتبرز من مؤخرته شـأن أىّ كائن حى.

- وكيف ينتج العسل يا سيدى ؟ .

- تبدأ هذه العملية بإمتصاص شغالات النحل لرحيق الزهور الطيبة النظيفة المفيدة ، وابتلاع هذا الرحيق ، ثم يخلط فى جوفها بعصارات وإنزيمات خاصة ، وبنسب دقيقة فى جوفها فيبدأ تكون العسل كيماويا من جراء هذا الخلط ، وتستمر هذه العملية لحين عودة النحل إلى خليته ، حيث تأتى مرحلة ثانية وهى تناول شغالات أخرى هذا العسل من الشغالات الأولى عن طريق الفم لهذا العسل، وابتلاع الثانية له، ومكوثه فى جوفها ، وخلطه أيضا بالعصارات والإنزيمات ، لتستمر عملية تحويل الرحيق إلى عسل النحل بشكل نهائي ، وحالما تتم هذه العملية الثانية تبدأ المرحلة الثالثة، وهى إخراج ذلك العسل من فمها ووضعه فى عيون الشمع السداسية التى صنعته قبل ذلك بكل دقة وإتقان ، وبطنته بالعكبر ، وسوف أحكى لك ما العكبر فى المرة القادمة .. المهم أنها تملأ عيون الشمع بالعسل ، وهنا تبدأ مرحلة أخرى وهى قيام فريق آخر من النحل بالنفخ فى العسل لتبخيره.

قال استيلاس فى ذهول وعفوية:

- هل يصنعون موقدا للتبخير؟

ضحك الشيخ من سذاجته وقال:

- بل يهوون بأجنحتهم على العسل وهو فى العيون السداسية حتى ينقص كمية الماء الموجودة بالعسل لدرجة مئوية تبلغ سبعة عشر فى المائة أو

ثمانية عشر فى المائة، فالعسل إذا زادت نسبة رطوبته عن ذلك المقدار فإنها تفسده ، وتعرضه للتخمر والحموضة ، أما هذه الدرجة فتحفظه بكامل خواصه مهما طال تخزينه داخل أو خارج الخلية ، ثم بعد ذلك تأتى المرحلة الأخيرة ، وهى ختم العسل للحفاظ على المجهودات السابقة المضنية التى كلفته حياته ، وهى أن يقوم فريق آخر من الشغالات بإفراز غطاء شمعى بسمك ، ولون خاص يخالف الأغطية الشمعية الأخرى لمختلف حالات حياة النحل.

قال استيلاس وقد تذكر :

– نعم نعم هى غطاء بيوت الشغالات ، وغطاء بيوت الذكور ، وغطاء بيوت الملكات ، التى ذكرتها لى من قبل .

قال الشيخ :

– وبهذا يصير عسل النحل غذاءً كاملا لبنى الإنسان ، جاهزاً وعامرا بالهرمونات اللازمة لصحة الإنسان ، كما أن العسل طاهر مطهر يقتل الجراثيم ، ولا تعيش فيه الجراثيم والميكروبات ، فإنه ، علاج شاف لكثير من الأمراض.

قال استيلاس مبهورا:

– سيدى.. من علم النحل كل هذا الإبداع ؟.

– " الله ".

تلفت استيلاس حوله وكأنه يبحث عن شئ، ثم سأله بعفوية وجهل.

- أين هو لأشكره ؟.

قال الشيخ بصوت يتهدج.

- هو سبحانه فوق العرش والسماء وفوق الكون كله

- ما شكله ؟.

- إنه سبحانة (ليس كمثله شئ) ولا هو مثل شئ .

- أريد رؤيته لكى أصافحه بيدى هاتين.

إبتسم الشيخ .. وقال له بسعة صدر .

- سبحانه وتعالى بائن عن الخلق بصفاته ، وإنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول والوحى ، وقد وصف ذاته سبحانه فى القرآن الكريم.

- إذن لن أراه؟

- لا تدركه الأبصار.

- ولماذا ؟.

- " نعمة منه ولطفا بنا ، فلو تجلى بعظمته ونوره على جبل لدك الجبل دكا ، وصرع من وجد فى الحال ، إنه يا بنى رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شئ شهيد ، وعلى كل شئ وكيل ، وعلى كل شئ قدير..

إنه يابنى نور السموات والأرض .. وتستطيع رؤيته فى خلقه لجميع الكائنات ، وفى نفسك **قال تعالى** : (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) صدق

الله العظيم ، ثم ابتلع ريقه وأضاف: آلا تراه فى بديع خلقه لهذا النحل ؟! تلك الحشرة الصغيرة التى عاملها بالوحى دون غيرها من الكائنات، غير الإنسان ، ليحفظها من الإنقراض منذ خلقها فى الأزمان السحيقة ..

قال تعالى:(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ **) صدق الله العظيم.**

ثم أضاف الشيخ موضحا:

– أليست هذه الآيات فى كتاب الله العزيز وألتى وصفت مختلف مراحل حياة النحل.. هذا المخلوق المميز العظيم الفائدة لكل خلقه ، أليست دليلا ملموسا على وجود الله الخالق الذى أوحى إليها لتقوم بكل ذلك السلوك الدقيق؟

قال استيلاس :

– " كلامك ينْفذ إلى العقل فالقلب يا سيدى".

وانصرف الشيخ لقضاء بعض شئونه ..

ووقف استيلاس فى فضاء المزرعة حائرا يتفكر فى كلام الشيخ عن الله عز وجل ، فيتطلع إلى الأفق تارة ، ثم إلى المناحل ، وما يدور بداخلها من معجزات يحار العقل فيها تارة أخرى، وحينما أبصر بقرة يسحبها

أحد المزارعين هب لكى يسجد أمامها ، لكنــه تراجــع ، وقــد تقاذفتــه الشكوك والأوهام ، إنّ كلام الشيخ عن الله ما زال يدور فــى رأســه ، فأيقظ عقله وهز كيانه ، ومس جوارحه ، وتمــتم بينــه ، وبــين نفســه معترفا: - "اعترف أننى كنت من قبل محدود الأفق ، ورغم أهمية البقر، وفوائده إلا أنه مخلوق من مخلوقات الله ، كالنحل وغيره ..

إذن البقرة إله مزيف ، وكل ما يعبدون فى الهند أو غيره من البلدان من آلهه غير الله ، فهم آلهه مزيفون .."

وابتعد فورا عن البقرة ، ودلف فى حجرته ، وارتمى فوق فراشه وأسئلة كثيرة ، تعربد فى رأسه المنهك بقسوة وضراوة :

- أيمكن أن يتخلى عن ديانته ؟؟!.

توطدت الصداقة بين محمد غلوم ، واستيلاس ، ودعاه ذات مساء علــى حفل عقيقة ابنه عبد الرحمن .. فذهب ، وسلم ، وقعد وجهز محمد غلوم إبريق الشاى ، وأقبلت مريم بصحن الحلوى والفاكهة .. وأكل معظم مــا فيه بنهم وجلست مريم معهما هذه المرة .. ثم أتــت أم عبــد الــرحمن بالرضيع من الداخل ، ورحبت باستيلاس ، وتناول منها الطفــل ، فأخــذ يداعبة بحب ورفق .. ودارت بينهم الأحاديث..

قال محمد غلوم:

- عثرت أمس على الكنز.

قال استيلاس مندهشا:

- ماذا تقصد ؟.

فتدخلت مريم موضحة :

- يقصد " أنه عثر على حفيد الرجل الطيب الذى ركب معه بالصدفة من أمام أحد النوادى الرياضية ليوصله إلى بيته بدبى.

- غير معقول ؟

قالت أم عبد الرحمن:

- وسأله كالعادة ..

أنت مصرى .. اليس كذلك ؟.

فقال نعم وإسمى "أحمد"

أو تعرف فلانا ؟.

- إنه جدى لأمى .. رحمه الله .. كم كنت أحبه.

ثم أكمل محمد غلوم بصوت مؤثر .

- وكدت أطير من فرط السعادة ، وكأنني عثرت على كنز ثمين وسحت عيناى بوفرة لهول المفاجأة ، وخاصة عندما أخبرنى الحفيد ، أن جدته لأمه فى زيارتهم هذه الأيام .. فتمت مقابلتها. وأخذ محمد غلوم يشرح ذلك اللقاء الميمون ، الذى كان مشحونا بالذكريات الطيبة عن عزيزها الراحل أيام كان يركب معه هو وأبناؤه ليوصل كلا منهم إلى وجهته قديما وأنه لما بسط يده بالمبلغ ، أعادته الجدة الصالحة إليه بلطف ورقة.. كهدية منها إلى المولود عبد الرحمن وترحما على العزيز الراحل.

استمع استيلاس لحكاية صاحبه مبهورا .. لقد أبصر بعينيه وفاء نادراً .. وأحس أنه أمام رجل نظيف القلب واليد وإن كان فقيراً .. فوجـد نفسـه يقول له بعفوية وحماس:

- لقد حان آوان البوح .. أريد الزواج من أختك مريم.

تطلع الجميع إليه فى ذهول .. وقال غلوم :

- أتمزح؟.

- " لم أكن جادا فى حياتى مثلما أنا الآن . .

قال الجميع فى نفس واحد :

- مستحيل.

فرد متوترا:

- لماذا ؟.

قال محمد غلوم:

- لأن المسلمة لا يحل لها أن تتزوج إلا مسلما.

- وما معنى ذلك؟.

قالت أم عبد الرحمن وهى تهدهد الرضيع :

- هكذا عقيدتنا، لكن المسلم يمكن أن يتزوج الكتابية اليهودية و المسيحية

وقف استيلاس يفرك يديه حائراً.. ثم قال:

- أخبرونى ماذا أفعل حتى تتم الموافقة.

قال له محمد غلوم:

- تعتنق الإسلام .

- وما هو الإسلام ياصديقى ؟

- عليك أن تشهد ألا إله إلا الله ، وآن محمداً رسول الله.

وأشياء أخرى غير ذلك .

- عرفت أشياء عن إلهكم ، ومن أجل مريم يهون كل شئ.

قال غلوم مندهشا :

- أتسلم من أجل امرأة ؟.

- بالتأكيد.

زم غلوم شفتيه وقال :

- إيمان زائف ياعزيزى.

- إذن ماذا أقول ؟.

- تقول إنك تؤمن بالله ورسوله ، لأنك اقتنعت بالإسلام.

قال استيلاس على الفور فى حماس شديد:

- سأفعل.

بل تان . وعلى يدِ الشيخ مسعود تستطيع أن تعرف حقيقة الإسلام ، حتى تكون على بينة .. وعندما يتحقق ذلك .. ستكون أختى مريم لك.

- حسنا .

وأضاف غلوم :

- الشيخ مسعود موسوعة فى كل شئ.

عاد استيلاس إلى المزرعة ووقف شاردا يناقش نفسه فى اضطراب: ماذا يضير إن اعتنقت الدين الإسلامى؟

إن الناس فى الهند يختارون معتقداتهم – وما أكثرها – فى حرية تامة .. بل مشاعرهم نحو الدين ومبادئه قد تضاءلت إلى حد كبير، وها هو السيد باتشا .. هل ديانته المجوسية منعته يوم حرمنى من (رولاتـــا) بأموالـــه، وشراهته ، وأنانيته؟

فلماذا الحرج؟

وما أكثر من درس الإسلام ، واعتنقه الكثير من أهل الديانات الأخـــرى، والملحدين والكفرة .. لن أكون بدعة .. .. لكن .. ماذا افعل فـــى ذلـــك التعصب الموروث؟

آه لو علم أهلى إن تركت ديانتى ، سأصبح فى نظرهم إنســانا مســتهترا ناقصا منفلتا ، وربما تبرؤوا منى ، وربما فكروا فى قتلى..

لا ضير ، ليكن ما يكون .. سيكون الموج عاتيا .. لا ضير حتـــى لـــو غرقت فى أعماقه .. !!

وقصد الشيخ مسعود فى اليوم التالى وسأله فى حماس – ما الإسلام يا سيدى ؟ .

فأجابه الشيخ :

–" أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تؤمن بجميـــع الأنبياء والرسل السابقين ، والكتب المنزلة وأن تتطهر وتتوضأ وتصلى،

وتزكى ، وتحج إلى بيت الله الحرام إن كنت مستطيعا ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره ، وبالآخرة والجنة ، والنار والملائكة مخلوقات الله الأبرار..

تطلع استيلاس إلى الشيخ مسعود مليا ، فرأى فى عينيه إشراقة الصباح، وعلى وجهه نور الصدق ، واليقين .. فاعترف له أنه أحب مريم أخت السائق محمد غلوم ، وأنه عندما أراد الزواج منها أفهمه استحالة ذلك إلا إذا اعتنق الإسلام.

ثم قال له :

- فأتيت إليك لأبحث عنه عندك ، فأنا لا أعرف عنه إلا القليل" ضغط الشيخ على يد إستيلاس وسدد إليه نظرات حازمه ثم قال له :

- لتكن نيتك خالصة لوجه الله .. لا تدع نزوة تحركك أو مالا يستميلك أو سلطة تغريك ثم ياتى الزواج بعد ذلك..

ثم صحبه إلى المكتبة باستراحته وأضاف : غدا تعلم يا ولدى أن الإسلام أغلى كنوز الأرض .. وستعرف أنه الحق .. بعد أن تطلع على هذه المجلدات الدينية المترجمة باللغة الإنجليزية التى تعرفها جيدا،

كما ستجد عندى بعون الله إجابة لكل ما يصعب عليك تفسيره، أو إدراكه.. وسوف أعطيك فرصة للإطلاع، وسأخفف عنك العمل.

قال استيلاس:

- عطفك على أكبر من أن أحتمله.

لا عليك فأنت بمثابة ابنى ولابد أن تؤمن عن يقين.

فتح استيلاس كتابا، وانزرع بين أسطره.. التهم الكتاب إلتهاما .. وأدرك أنه يبحر فى عالم حى مثير ، وأدرك أن الثقافة أعـم ، وأرحـب مـن التعليم، ثم واصل البحث فى المكتبة العريقة عن مجلد آخر ، لكن الشـيخ اقترب وهو يشير بسبابته إلى كتاب كان عن سيرة محمد صلى الله عليـه وسلم ، وعن الأنبياء ، فانتزعه استيلاس على الفور من بـين الكتـب، وكان مترجما إلى اللغة الإنجليزية، فقال له الشيخ :

عرفت الله يابنى ، ولكن لن يصلح إيمانك إلا إذا آمنت بمحمد رسول الله وبالأنبياء جميعا ، والكتب المنزلة الصحيحة التوراة والإنجيل والقرآن.

قال استيلاس فى دهشة:

– هل الإسلام هكذا ؟!.

– لا نفرق بين أحد من رسله.

– ومحمد ؟.

–(وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

وقال تعالى – بسم الله الرحمن الرحيم(لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ) **صدق الله العظيم**.

ولما سكت الشيخ، قال له استيلاس: زدنى يا سيدى.

- " يابنى ، محمد رسول الله .. جاء بعد أن أكتمـل نُضْـج البشـرية ، واستنفدت التجارب القديمة .. وكانت معجزته القرآن الكريم عن طريـق الوحى.

- وما القرآن ؟ .

شريعة الله ومنهاجه .

- والأنبياء السابقون ؟.

- جاء كل نبى لقومه بمعجزة حسية كعصى موسى التى كانـت تتحـول إلى ثعبان بأمر الله ، والنبى عيسى بن مريم الذى تكلم فى المهد صـبيا وولد بغير أب وكان يحي الموتىبإذن الله ، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وطوفان نوح عليه السلام الذى اغرق الكفار، وإبراهيم أبو الأنبياء الذى قذفه الكفار فى النار فتحولت النار بردا وسلاما بـأمره سـبحانه ، وأنبياء كثيرون أرسلهم الله كلاً إلى قومه ليهديهم إلى عبادة الله وحده أما محمد بن عبد الله النبى الأمى فهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكما قلـت لك بعثه الله للبشرية كافة .. فدعا إلى الله بالحكمة والموعظـة الحسـنة. وبعد أن قرأ استيلاس " قصصا عن الأنبياء "، وفرغ من قراءتهـا زوده الشيخ مسعود بالقرآن الكريم تلك النسخة المترجمة بالإنجليزية لمعانية .. وكان يجد لدى الشيخ جوابا لكل سؤال .. فشعر أنه قد عرف الحقيقة مـن مصادرها الأصلية .. كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم..

قال استيلاس ذات يوم للشيخ مسعود .. وهو يهيم بنظراته فـــى أرجـــاء المزرعة ..

– سيدى لقد بحثت عن الحق ووجدته .

ابتسم الشيخ قائلا :

– إذن تشبث به لأنه أغلى كنوز الدنيا.

– لكنى خائف.

– مم ؟

– من خطاياى ، وكفرى فى الماضى .

– إن الإسلام ياولدى يجب ما قبله.

وتطلع استيلاس إلى خلايا النحل ، وإلى الأرض الممهدة بألوان الـــزرع والفواكه ثم إلى الشمس المشرقة ، وتنفس الهواء بعمق ثم ردد عن اقتناع ويقين:

– أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . هلل الشيخ وكبـــر ثـــم احتضنه بقوة وسرعان ما تحلق حوله تلامذته يهنئونه ويباركون دخولـــه فى الإسلام وراحوا يعلمونه كل ما خفى عنه ..

فاستحم استيلاس وتطهر وتوضأ .. ولأول مرة صلى معهم فى المســـجد خلف الشيخ مسعود .. وبعد أن فرغ من الصلاة .. قال للشيخ:

– وجدت فى الخشوع لذة ، وفى السجود لله متعة.

ابتسم الشيخ وأضاف:

- يا بنى إن القرب من الله أمتع من كل مغريات الدنيا.

ثم ربت الشيخ على كتفيه وقال:

- عليك أن تختار لنفسك اسما غير استيلاس.

قال استيلاس على الفور:

كان إسم أبى (بابو) وقد اخترتُ لنفسى هذا الإسم. (عبد الله بابو) هلل المصلون وباركوا اسمه الجديد.

ثم قال الشيخ مسعود:

- غدا نصحبك لتشهر إسلامك أمام المحكمة الشرعية.

وقبل الفجر استحم استيلاس وتطهر وتزين بالعطر الرجالى "خذوا زينتكم عند كل مسجد" كما علمه تلامذة الشيخ ، ثم ارتدى الدشداشة أى الجلباب الأبيض ، والغطرة البيضاء والعقال الأسود لغطاء الرأس وصلى الفجر ، وكانت هذه الملابس هدية له من (محمد غلوم) الذى عبر بها عن فرط سعادته بإسلامه ، ويوم قدم له الهدية ، سأله عبد الله بابو:

- أترضى بى الآن زوجا لأختك ؟.

فرد على الفور :

- إن الذى عرف الله وآمن به وبرسوله ، وبالنور الذى أنزل ، ليشرفنى مصاهرته.

وفى الصباح حوطه الجميع بمشاعر الحب . والإهتمام وهــم يصـــحبونه إلى المحكمة الشرعية .. فشعر عبد الله لأول مرة بالإنصـــاف وبعدالـــة السماء ..

وقبل أن ينطق بشهادة التوحيد أمام القاضى الشرعى جاءه أحـــد الكهـــان وقال له :

- إن كنت تريد مالا يابنى ، فإنى قادر على أن أمدك بما تشاء منـــه وإن أردت المجد ألحقناك بأرفع المناصب ، وإن أردت (رولاتا) التى حرمت منها فسوف أُعيدها إليك على الفور وتتزوجها إنى على استعداد أن أحقق لك أغلى رغبة تحلم بها إذا عدت إلى ملتنا ..

رد عبد الله بابو بثقة وإيمان قائلا:

- تذكرنى ياسيدى بقصة قرأتها عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الكفار جاءوا لعمه وقالوا له ، لو أراد محمد ملكا ملكناه علينا ، ولو أراد مـــالا جمعنا له ما يشاء من المال ، ولو كان مريضا مسحورا لأحضـــرنا لـــه أمهر الأطباء .. فقط نريده أن يتخلى عن دعوته ..

أتدرى يا سيدى ماذا قال محمد نبى الأمة ؟

- أسمعك .

- قال " والله ياعمى لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فـــى شـــمالى على أن أترك هذا الأمر لما تركته حتى يظهره الله .. أو أهلك دونه"..

وأنا يا سيدى ما أرغمنى أحد على ترك ملتى ، واخترت الدين الإسلامى الحنيف بمحض إرادتى وبكامل قواى العقلية والنفسية بعد أن اطلعت على الأديان الثلاثة وقرأت القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسير الأنبياء عليهم السلام ، أولئك الأنبياء السابقين ولم أقدم على الإيمان بالله ورسوله إلا بعد أن تجردت تماما من ترسبات الضلال والكفر، والمسلمات القديمة ،، التى كنت قد ورثتها دونما وعى أو علم .. وقد جئت أمام المحكمة الشرعية اليوم لكى أقول أمام القاضى المبجل وأعلنها صراحة :

– أشهد آلا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

وفرح الحاضرون بينما همس الشيخ مسعود لمحمد غلوم قائلا :

– " لقد حسن إسلام (عبد الله بابو) وولد من جديد فهنيئا له ولنا جميعا.

ران على قلب مريم سعادة كبيرة لاعتناق خطيبها "عبد الله بابو" الدين الإسلامى .. وكادت تطير مغردة فى سماء دبى من فرط هذه السعادة ، وقد هداه الله للايمان ، وكانت بلا شك إحدى العوامل لهدايته ..." لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير من حمر النعم". وقد لمست فى لهجته منذ عرفته ذلك الميل الشديد ، وقرأت فى عينيه ذكاء وطيبة وودا وصدقا فريدا وسجدت لله شكرا أن ألف الله بين قلبيهما .. وتمت الخطوبة على خير ، أما الزفاف فقد أرجأه حتى يتم تأثيث بيتهما الصغير،

نشأت مريم فى بيت علم وفضل، وتتمتع بذكاء وروح طيبة وقد حباها الإله جمالا وسحرا شرقيا بديعا.. كان أبوها إماما فى أحد المساجد بباكستان ولكنه تعرض اثناء صلاته بالمسجد لهجمة شرسة قاسية من أولئك السيخ الكفرة فقتلوه ومن معه من المصلين كما دمروا المسجد، وهجموا على بيتهم ، وقتلوا أمها وأخواتها الثلاثة الصغار ، ولولا أن كانت مريم فى مدرستها فى ذلك الوقت لقضى عليها .. ولما عرف محمد غلوم ما حدث لجأ للرجل الطيب فى دبى ، واقترض منه ذلك المبلغ وسافر على الفور .. وجاء بأخته مريم لتعيش معه ثم ، وجد لها فرصة للعمل كمدرسة فى دبى للغة الإنجليزية .. بعد أن أتمت تعليمها فى إحدى مدارس الدولة ثم الجامعة الخاصة ، ثم تزوج من أم عبد الرحمن منذ عامين ، ومريم لها نشاط دينى بين النسوة فى بعض الجمعيات .. إنها تجد فى أنشطتها لذة وطاعة لله ، وتشعر بالراحة الكبرى لأنها تعتبر ذلك امتدادا لرسالة والدها فى نشر الدعوة، ذلك الأب الصالح الذى مات شهيدا .. ولقد تحمست للزواج من عبد الله بابو واعتبرته جزءا من رسالتها المقدسة فى الحياة ، ولم تلتفت لشهادته المتوسطة ، ولم تعقد مقارنة بينها وبين شهادتها العالية .. إنما التفتت لحسن خلقه ، ولطفه ، وطيبة قلبه وعملت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سألها أخوها – غلوم– عن رأيها فى إختيارها لعبد الله بابو

قالت مريم بحماس شديد:

أوافق "على عبد الله بابو" فقد لمست فيه قوة الإيمان ، فالزوج المؤمن إذا أحب امرأته ، أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها. كما رأيته حسن الخلق، لطيفا فى المعاملة .. وقد قال نبينا الكريم :

" أكمل المؤمنين إيمانا ، أحسنهم خلقا ، وألطفهم بأهله ".

فمن تكون له هذه الصفات حتما سيتوفر بيننا إن شاء الله السكن والمودة والرحمة والتعاطف والألفة ، والأمن والأمان.

ثم همست فى النهاية لأخيها :

– وما اختيار قلبى له إلا بتوفيق من الله عز وجل .

وسأل الشيخ مسعود "عبد الله بابو " يوما:

– كيف تريد امرأتك.

أعنى زوجة المستقبل، فأجاب قائلا على استحياء:

– أريد منها التفاهم والرضا والقناعة والإيمان والعقيدة القوية وانغراس القيم ،وتطبيقها للسلوكيات فى حياتنا اليومية والتعاطف والاهتمام بى وبأبنائى فيما بعد وأن تكون من بيت كريم وعلى قدر من العلم والثقافة.

قال الشيخ مبتسما :

– أحسنت يابنى .

ثم أضاف الشيخ فقال له :

– اعلم يابنى أن الكمال لله وحده ، فاختر أقل ما يمكن من العيوب، وأكثر ما يمكن من الفضائل،

– واعلم أن المودة بين الزوجين ينبوع السعادة ، وأن الزواج يتطلب حبا واعيا عميقا ، وتعاونا على مواجهة الحياة، والصبر على مصاعبها تثاب عليه وتجزى عليه خير الجزاء ..

انطلق الكاهن إلى بلاد الهند ، وقصد على الفور قصر السيد (باتشا) فى بومباى .. وقد تجمع لديه كل المعلومات عن حياة استيلاس ، وتمت المقابلة ، وبذل مجهودا حتى أعاد (رولاتا) إلى أسرتها ، بعد أن أقنع السيد باتشا بأن تحرير (رولاتا) من أجل مهمة مقدسة ، وأعاد إليه ثمنها من أموال الهيئة التابع لها، والتى تنفق ببذخ فى سبيل عودة استيلاس وأمثاله .. إلى ملتهم من جديد ، إذا اعتنقوا دينا غير دينهم. وأعطاه ثمنها دولارات ، وقال له: الدولار الأمريكى أقوى عملةً فى العالم.

وفرح (روبى) الأب بعودة ابنته إليه ، وفرح أكثر أن حريتها لم تكلفه (روبية) واحدة ..

أما الأم فأحست أنها رطبت فؤادها المريض ، وأطفأ وجودها بينهم نار الشوق ، والتف إخوتها حولها معانقين مهللين وكأنهم فى مهرجان..

أما (رولاتا) فقد نظرت مكروبة إلى البيت القمئ وإلى أسرتها الشاحبة الوجوه وإلى ملابسهم الرثة وأقدامهم الحافية، ووجوههم المصفرة. دون أن تتكلم .. وكأنها ترى ما تراه لأول مرة .. وفجأة صرخت: –" لم أكن أتوقع أن تنزعوننى من النعيم إلى الجحيم.

همست الأم بصوت حزين.

- هنا عادت إليك كرامتك وحريتك يا ابنتى.

صاحت:

- لا حرية بغير مال.

تمتم أبوها:

- غدا نحقق لك كل شئ يا ابنتى.

صاحت رولاتا من جديد ناقمة :

- الفقراء لا يحققوا شيئا يا أبى .. هناك عند (باتشا) الكفاية فى كل شئ فى الرزق فى النعيم فى الأمان .

بكت الأم وقالت :

- كم تغيرت يا ابنتى.

صرخت ، بينما انزوى إخوتها يبكون :

- لست بالغافلة حتى أترك جمال دنياى .. وأدفن نفسى هنا فى هذا القبو اللعين . أعيدونى إلى باتشا .. باتشا ..

وهمت بالفرار وقد بهت الجميع ، ولكنها فوجئت بالكاهن أمامها بالباب.. فأعادها مرة أخرى وهدأ من توترها ، حينما ناولها وأباها مبلغا كبيرا من المال ، كما وعدهم ببيت أوسع وأثاث فاخر ، وإيجاد عمل (لرولاتا) وإخوتها الكبار على أن تعود إلى استيلاس .. وأقنعها بعد جهد كبير أن عودتها إليه سيكون له التأثير البالغ فى ابتعاده عن ذلك الدين الإسلامى ، وعودته إلى حظيرة ملتهم من جديد .. كما نجح الكاهن فى إشعال غيظها

وتحريك غيرتها ، وإثارة حفيظتها حينما ذكر لها الفتاة مريم ، المسلمة الباكستانية بأنها هى التى زوقت له الانتقال إلى دينها كى يحظى بحبها ويتزوج بها،

وقفت (رولاتا) تعبث فى أناملها بعصبية وتتحرك فى القاعة كالنمرة الشرسة حركات بغير هدف ، وتتلفت إلى أبويها فى غيظ وهى تكز على أسنانها مهتاجة ، وأدرك الكاهن ما تعانيه رولاتا من كرب ، فحاول أن يخفف عنها فصب لها كأسا من الخمر المعتق كان بحوزتها لكنها خطفت منه الزجاجة بلهفة وأخذت تصب الكأس بعد الكأس حتى هدأت قليلا ، فتمتم وهو يسدد إليها نظرات جادة:

– يجب أن تعلمى أنه قد نفدت كل الوسائل المادية مع استيلاس ، ولم يبق أمامنا غير التأثير عليه عاطفيا لكى يعود إلى ملتنا .. إنه واجب مقدس "يارولاتا".

تدخل الأب قائلا: هذا المأفون قد أوقعنا جميعا فى ورطة ، لكن ليطمئن سيدى الكاهن .. إن ابنتى رولاتا تربت بقلب استيلاس منذ الصغر . ولن يخذلها إذا ذهبت إليه .. إن ذهابها إليه فكرة صائبة ..

وقالت الأم بصوت شجى :

– وما هز كيان المسكين ، ولا أثقل همه إلا بعد أن باعها أبوها للسيد باتشا.

قال الكاهن وقد بدا فى عينه أمارات الانتصار:

- إذن سيفيق ويرجع طائعا إلى ملتنا بمجرد أن يلتقى (برولاتا) أليس كذلك يا ابنتى؟.

هبت رولاتا واقفة وصاحت :

- لو كان هذا المجنون هنا لأطلقت عليه الرصاص وقضيت عليه.

إقترب منها الكاهن، وناولها جواز السفر والتذكرة ، ثم قال لها:

- لقد جهزت لك كل ما يحتاجه السفر .. وسوف تجدين نائبا عنى ينتظرك بمطار رأس الخيمة ليقودك إلى مقر سكنه بمزرعة الشيخ مسعود.

ثم سدد الكاهن إليها نظرات ثاقبة وأضاف:

- إن مهمتك محددة هى العودة باستيلاس ، واستعادة حبه ، وثقتة ، ولهذا عليك كظم غيظك وعليك بالاحتيال عليه.

قالت فى دهشة :

- الاحتيال ؟

- أجل .. تحتالين لكى تحققى أهدافك ، وبأى ثمن

- بأى ثمن ؟

- نعم حتى لو بعت نفسك للشيطان.

وابتلع الكاهن ريقه ثم أضاف وهو يسدد إليها نظرات جادة:

- يجب أن نتصرف بحكمة ونتسلح بالصبر والمغريات.

قال أبوها فى إصرار وهو يضع المال فى جيبه ويتحسسه فى شراهة:

- ثق أيها الكاهن الأعظم ، لن تدعه ابنتى يفلت منها مهما كانت التضحية .

قالت رولاتا ثائرة :

-" هذا الملعون تسبب فى حرمانى من ملذات الدنيا ، أو تظنون أننى أحب مثل هذا الأبله ؟ إنه تافه حقير وإلا لما فعل ما فعل.

قال لها الكاهن : يؤرقنى هذا التردد .. كونى له فى الظاهر.

فكرى فيه .. تحايلى عليه بقدر المسئولية المقدسة .

إنها سياسة .. معركة ونتيجة المعركة فى يدك أنت يا (رولاتا) أنت وحدك.

قال أبوها :

- نعم الأمر يحتاج إلى تدبر وتخطيط ، فالولد غاية فى الذكاء.

وأضاف الكاهن .

- والغاية تبرر الوسيلة ، وحذار أن تذكرينى عند استيلاس.

لزمت الصمت ثم قالت :- لا بأس .

يوم الرحيل ارتدت ملابسها ، وتزينت كعروس ، ووقفت أمام مرآة مشروخة قديمة لتطمئن على جمالها وهندامها، وتستكشف قدرتها على التأثير والإغراء . ووضعت أغلى العطور التى أتت بها وبأفخر الملابس الهندية من مقتنياتها فى قصر باتشا وتزينت كذلك بالحلى .. وتذكرت أغنية كان يحبها استيلاس.

فى زمن ما قبل (باتشا) واخذت تتدرب عليها وتحفظها فى إصرار حتى لا تضيع منها .. إنها تعرف أن استيلاس كان زومانسيا حالما..

قال أبوها وهو يودعها فى المطار:

– رولاتا يا ابنتي تذكرى وعود الكاهن .. لا تخذلينى .. أبذلى أقصى ما تستطيعين من جهد إرضاء له ، وتعصبا لديننا ولا تذكريه عند استيلاس.

هزت رولاتا كتفيها فى استهانة وقالت :

– هه .. لن أخسر شيئا إنها رحلة إلى بلاد الخليج .. بلاد السحر والجمال كما يقولون .. ولن تكلفنى (روبيه) واحدة .. إنها نزهة قبل كل شئ .

إزداد الأب غيظا فقال : والواجب المقدس يارولاتا ؟

– إطمئن سأعيده إليكم إنه يعبدنى عبادة .. هاها .. هاها..

أحب (عبد الله بابو) الإسلام حبا ملك عليه جوارحه ، وألف حياته الجديدة بين رفقاء المسجد والشيخ مسعود ، وحراسته للمناحل ، ولم يعد يعانى من جفوة بعض المزارعين الهنود له – ومعظمهم من الملحدين. منذ أعلن إسلامه .. فمساندة الأصدقاء له ووقوف مريم وأخيها بجانبه ، عوضه كثيرا عن تلك الجفوة .. وعرف كثيرا من اللغة العربية فتزود من مناهل المعرفة لكثرة الاطلاع على الكتب بمكتبة الشيخ مسعود العريقة الضخمة .. وشرع فى حفظ كثير من سور القرآن الكريم. ووزع وقته بين عمله فى المزرعة عند المناحل ، وبين العبادة ، وزيارة مريم وأسرتها ، واللقاء برفقاء المسجد وحلقات الوعظ والإرشاد ..

ولم يعد يقف لحراسة المناحل وملاحظة تضبيط الحرارة ، أو البرودة فى غرف المناحل وحسب ، بل صارت نظرته للنحل أعمق وأوسع منذ عرف الكثير عنه من شيخه ، ومن قراءته القرآن الكريم وفهمه لمعان لم يكن له عهد بها ، بعد تأملاته فى أحوال النحل ، ومنزلته التى خصه الله بها .. لذلك فإنه يحرص كل الحرص على إبعاد المزارعين عنه أثناء رش المبيدات الحشرية ، ويحرص كل الحرص على ملاحظة مكيفات الهواء حتى يحافظ عليهم من الحر الشديد حتى لا يؤدى إلى إذابة الشمع فيسيل منه العسل ويملأ أرضية الخلية فيغرق فيه جميع النحل ويموت لا قدر الله .. أما فى البرد الشديد ، فيسعف النحل بالتغذية اللازمة لمكوثه فى الخلية حتى لا يضطر النحل لتناول كميات كبيرة من العسل ، وانتهاء المخزون منه فيؤدى إلى موته .. إنه صار يعامل النحل معاملة دقيقة ومتميزة ، حتى أنه، لو حاولت إحدى النحلات لسعه بعد خلع السترة الخاصة، التى تقيه من لسعه بعد إنتهاء عمله لا يمكن يفكر أبدا فى قتلها.. بل يبعدها عنه بلطف وترفق ، لأنه يعلم أنها تموت إن لسعته .. إنه حريص على بقاء هذا المخلوق الذى يسبح بحمد الله ، فكيف يتسبب فى موته سواء لسعه فيموت أو أهمله أو ضربه فيقتنى لقد صار النحل ملء الفؤاد والعيون..

ويكفى أنه كان سببا فى إسلامه.

جلس (عبد الله بابو) وتربع فوق كنبة بالغرفة وأخذ يقرأ فى كتاب الله بعد أن عاد من صلاة الفجر .. وما إن وصل راح يــردد بصــوت يتهــدج

(يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

حتى سمع نغمات شجية هندية رقيقة تتبعــث خلــف نافذتــه المغلقــة.. " فصدق" وراح يسمعها وكانت

تقول :

يعذبنى ظنك أننى.

زهدت الوصال .. وخنت العهود.

وما تدرى أنى بنار البعاد.

أقاسى مرارة هجر قوى عنيد.

وما باختيارى تناءيت عنك ولكنه قدر لا يريد ..

وجئتك أسألك الصفح عن ما مضى

فرب عتاب يزيل الجحود ..

وضع كتاب الله برفق فوق المنضدة ثم هرول خارجا .. إنه صوتها إنهــا هى (رولاتا) بشحمها ولحمها .. وتناسى ما جرى منها ووجد نفسه يــرد عليها بباقى الأغنية التى كان يعشقها من زمن بعيد فقال كالحــالم بــدون نغم:

لأنت منايا وسر حياتى.

وأنت من القلب نبض جديد

فحبك فى مهجتى خالد

وطيفك فى أعينى لا يحيد ..

ثم أضاف وقد تشابكت الأصابع فى شوق فريد :

- آه .. رولاتا .. لو كنت شاعرا لكتبت ألف قصيدة عن لوعة الحب والشوق منذ افترقنا ..

آه .. روحى تئن من البعاد .. وكما ترين شف جسمى من النوى.

تمتمت فرحة وفى عينيها نشوة الانتصار :

- من اليوم ياحبيبى .. لا بعاد .. لا شوق .. لا دموع سأكون لك وحدك.

هز رأسه كمن يفيق .. وفرك عينيه كمن يستيقظ وهى تكمل:

- وهيا بنا .. إخلع هذا الجلباب الذى لا يليق إلا بأهل الخليج وارتد ملابسك الوطنية لكى نعود معا إلى بلدنا الحبيب بومباى.

فابتعد عنها قليلا ثم سألها وقد أفاق أكثر .

- والسيد باتشا ؟

- تنازل عنى أخيرا ، وبعد توسلات أبى.

قال فى شك :

- هكذا من غير أن يقبض باقى الثمن؟

- " اقتنع أن يسدد على أقساط.

- لم يصرح عمى بذلك فى رسائله.

- أراد لك عذب المفاجأة.

- وكيف عرفت عنوانى ؟ ومن أتى بك إلى هنا؟

- يقولون فى الأمثال .. من يسأل لا يتيه.

- هيه .. لكل سؤال جواب عندك.

ابتعد عنها أكثر ، فهرولت نحوه ثم قالت بلهجة فيها لون اللهفة :

- إستيلاس أيها الحبيب.. ألا تقبلنى، وتحتضننى كما كنا نفعل فى الماضى الجميل ؟.

قال متماسكا:

- ليس لى الحق فى ذلك.

- "بل لك الحق .. ألست حبيبتك ، وابنة عمك ؟ وحلمك الذى تعشقه؟.

- أنا اليوم غير الأمس ، ولم يعد اسمي استيلاس ، فأنا الآن أحمل اسم "عبد الله بابو".

قالت وهى تفرك يديها فى عصبية:

- ما معنى ذلك؟.

- معناه أننى اعتنقت الإسلام .. يارولاتا.

همت أن تصرخ لكنها تماسكت حتى لا تتعقد الأمور وقالت؟

- أنت تمزح أليس كذلك؟.

- المؤمن لا يتكلم إلا حقا.

قالت فى عصبية:

- من علمك الإسلام ؟.

أشار إلى خلايا النحل وقال لها .

- هذه الحشرة الصغيرة المباركة.

تمتمت بينها وبين نفسها:

- لقد أصابه شر من بعدى .. مؤكد فقد عقله ..

ثم عادت للمراوغة وقالت له مبتسمة :

- حبيبى .. سأكون لك وحدك .. فلنتزوج .

(وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ) صدق الله العظيم.

وممن نتزوج إذن؟

-" قال تعالى فى نفس الآية السابقة(وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ)

- ولو كنت أنا مسلمة ، وأنت مشرك فماذا يكون وضعى؟

- قال تعالى (وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ).

- ولماذا ؟.

- قـــال تعـــالى (أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

شعرت (رولاتا) بالهزيمة ، والإحباط ، لكنها تذكرت كلام الكاهن عليك بالصبر .. والحيلة .. والمراوغة .. إفعلى المستحيل .. الغاية تبرر الوسيلة، فهرولت إليه ، عند خلايا النحل ، وهجمت عليه وبسرعة طوقته بذراعيها وحاولت تقبيله ، لكنه تماسك ودفعها عنه بقوة لا تخلو من اللطف . تمنت لحظتها أن تنقض عليه مرة أخرى ، لتخنقه ولكنها تماسكت وقالت فى ميوعة أكثر .

- أحبك يا استيلاس.

فسألها بصوت رقيق:

- ما معنى الحب فى رأيك يارولاتا ؟

- الحب نار تؤجج الأبدان ، وأنت ما رأيك فى الحب ؟

- الحب نور .. وهبة الله للقلوب.

- بل خلق الحب للمتعة للهفة للانسجام .

الحب الغفيف الصادق طهارة .. ونضارة .. ونقاء .. ووفاء وإيثار، وتضحية وافتداء ..

- هذا الحب الذى تتكلم عنه لا يفيد ولا يثمر .

- الحب علاج سحرى لمشكلات الحياة الزوجية وهو الذى يأخذ بيدها إلى بر الأمان.

- إنك لم تتزوجنى بعد يا حبيبي فكيف عرفت كل هذه المعانى ؟.

- من الإحساس بالاخرين ، وقد عشت فيه بكل معانيــه الســامية مــع معارفي وأصدقائي وشيخى.

صرخت :

- وأنا ؟.

- لا أنكر أننى أحببتك فى الماضى .. ولكن الحب عدوٌ التجافى، عــدو القسوة ، عدو الضعف والتخاذل واللامبــالاة .. عــدو الغــدر والكــذب والانتقام .. عدو المادية والحقد.

أحست أن كلماته جارحة لأن كل ما ذكره يلتصق بها ، فقالت متصــنعة الدلال والمراوغة :

- حبيبى أعذرك فى كل ما قلته لأنه بسبب الغيرة على. تطلع إليها مليــا فى حيرة ثم قال :

للأسف لم تفهمى مغزاى ، ولا تريدين أن تفهمى.

حاولت مرة أخرى بأن هجمت عليــه وطوقتــه بــذراعيها الممتلئتــين العاريتين وحاولت تقبيله ، لكنه عاد فتماسك ودفعها عنه بقوة.

وبقى واقفا وبعض الرعشة قد أصابت جســده الفــارع النحيــل ورغــم هزيمتها إلا أنها عادت تقول فى صبر وقد كظمت غيظها .

- حبيبى إننى ألتمس لك العذر .. وكلى استعداد لكى أتخلى أنا الأخــرى عن عقيدتنا ، من أجل خاطرك.

شعر عبد الله بإحساسه الشفيف أنها تراوغه .. فقال لها:

- أهكذا ببساطة ؟ من غير أن تعرفى شيئا عن ديننا الإسلامى؟
ولا تكلفى نفسك مؤونة المعرفة بالله؟.

- إذن من هو إلهك ؟.

قال تعالى(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ)

ثم أخذ يشرح لها معانى الآية وأضاف:

- وهو سبحانه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت، لـه السلطان والقهر ، والأمر والنهى ، والسماوات مطويات بيمينه ، والأرض والخلائق مقهورين فى قبضته.

هزت رأسها ووضعت يدها فوق جبينها ولم تعلق على كلامه وكأن على عينيها غشاوة وعلى عقلها أقفالا .. فقط قالت :

- إننى متعبة من طول السفر فهل تأذن لى بالنوم ؟.

عاد بها إلى الحجرة ، وفتحها بالمفتاح .. وقال لها فى أدب جم:

- تفضلى فهذه حجرتى ، وبها كل الاستعدادات ، ثم فتح لها مكيف الهواء .. الذى يعالج صيف الخليج ورطوبته الخانقة .. لكنه سمعها تسأله بصوت فيه ميوعة وتمد له ذراعيها :

- وأنت ألا تأتى لتنام معى ؟. وراودته عن نفسه ، فاستعصم .. ثم تنحنح وتماسك ثم قال وهو يغض طرفه عندما رآها تشرع فى خلع الثياب :

- سأنصرف للعمل.

- وعندما يأتى المساء ؟.

- سأترك لك الحجرة وأنام فى الاستراحة .

صرخت وهى تقول : أخاف لو نمت بمفردى.

- سأتصرف.

- كيف؟

- ستنامين عند خطيبتى "مريم" فى حجرتها ومع أسرتها بمدينة دبى.

كادت أن تمسك بتلابيبه ، لكنها تماسكت وقالت:

- حبيبى ما تقوله الآن مجرد نزوة سرعان ما تنطفئ جذوتها ، وتعود معى إلى وطننا الحبيب ، ثم نتزوج هناك ، ثم ينتهى الأمر ، أليس كذلك؟

- كلا ليس كذلك .

- غريب أمرك .

- الأمر ليس فيه غرابة ، فللإنسان مطلق الحرية فى أن يتزوج من يشاء، ويعتنق من العقائد ما يشاء.

- لكنك أخطأت حينما فكرت فى غيرى.

- وباتشا؟.

- كنت مرغمة ، وضحية الفقر والهوان كما تعلم .

- لا بأس .. أستطيع أن أتزوج منك على شرط.

- ما هو ؟.

- أن تدرسى الإسلام أمام عينى دراسة وافية وبعد اقتناع تام تؤمننّ بالله ورسوله وتشهرين إسلامك كما فعلت.

ولماذا لا يحدث ذلك فى الهند؟.

- هذا شرطى.

غيرت مجرى الحديث فقالت:

- ماذا أعجبك فى تلك الفتاة التى تدعى مريم .. هل هى أجمل منى؟

- ملائكية العينين، صاحبة عواطف صادقة مبرأة من الطمع ، لم تحب أحداً فى حياتها غيرى ، مدرسة ، ومسلمة وتعرف الله حق المعرفة ، مثقفة ، و صاحت مغتاظة :

- كفى ، وهيا بنا .. أريد أن أنام.

- تنامين عند مريم " أتوافقين؟.

- أوافق. وصحبها إلى بيت غلوم ، وعرفهم بها وبكل نواياها بلهجة عربية حتى لا تفهم ابنة عمه ما يقول .

قال محمد غلوم لأخته (مريم): أكرمى مثواها ، إنها ضيفتنا إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا.

ابتسمت مريم وقالت:

- مرحبا بضيفتنا الغالية .. تفضلى.

وصحبتها إلى غرفة نومها.. ثم وضعت أمامها أطايب الطعام، والفاكهة، ولكن (رولاتا) نظرت إليها شذرا وسألتها وهى تتطلع إلى وجهها الخالى من المساحيق.

- ما الذى جعل استيلاس يستسلم لك ويخطبك .. لا أعتقد أنه الحب ، فهو يحبنى أنا منذ زمن بعيد .. بل يعشقنى عشقا.

قالت مريم فى هدوء:

قال صلى الله عليه وسلم :" فاظفر بذات الدين تربت يداك" وقد ظفر بى لهذا الغرض.

هزت (رولاتا) كتفيها فى استخفاف وقالت:

- أقول لك ليست لاستيلاس خطيبة ولا حبيبة سواى.

- أتصدقين هذا العبث؟.

- ليس عبثا ، ولكنه واقع مؤكد يا آنسة فأكرم لك أن ترفعى الراية البيضاء.

- تذكرى أن الرجال لا يفتحون قلوبهم مرة أخرى للمرآة الغادرة مهما كان حبهم لها.

ردت رولاتا ثائرة :

- أنت وقحة .

قالت (مريم) فى هدوء:

- لو لم تكونى ضيفة فى بيتنا للقنتك درسا فى الأدب.

هبت (رولاتا) فى غضب وصاحت:

- أين استيلاس .. أريد استيلاس .

- عبد الله بابو هنا.

- أين؟.

- يتربع فى قلبى. قالت هذا لإغاظتها مع أنه قد انصرف.

إهتاجت (رولاتا) وتحولت إلى أشبه بنمرة جريحة ، وأخذت تعبث فى أناملها بعصبية ، وتتحرك فى الغرفة حركات بغير هدف ، وتتلفت هنا ، وهناك فى توتر ، ثم قالت وهى تكز على أسنانها فى غيظ :

- لو كنت فى الهند لأطلقت عليك الرصاص ، وقضيت عليك ،لكننى فى بلد غريب.

فردت عليها مريم فى تماسك:

- ولماذا جئت إلى البلد الغريب؟.

- لكى أستعيد حب استيلاس ، وثقته.

- بل جئت لمهمة محددة.

- ما هى؟.

- هى احتيالك عليه، حتى يترك دينه الإسلامى الحنيف.

أليس كذلك؟

- هو الذى قال لك هذا؟.

- بل كل تصرفاتك تدل على ذلك.

أهتاجت رولاتا أكثر فوقعت فى المحظور ، وقالت بدون تحفظ:

- لقد سقط استيلاس فى هوة ليس لها قرار ، ولابد أن يفيق يوما من غيبوبته.

- إنك تحلمين ..

- بل أنا على يقين.

- اليقين الذى يجب أن تفهميه هو أن "عبد الله بابو" اعتنق الإسلام عن إقتناع تام ، وبعد أن تجلت له الحقائق دون زيف ، وأشرق فى قلبه الصدق دون رياء ، ومحال أن يرجع إلى ملتكم ، ملة الشيطان وخاصة بعد أن حفظ القرآن **قال تعالى**(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) **صدق الله العظيم**

ولما شرحت لها هذه المعانى باللهجة الهندية التى تعرفها هبت (رولاتا) خارجة من البيت .. وحاول غلوم أن يستوقفها، لكنها اندفعت إلى الخارج اندفاعا لا يقاوم ، وسرعان ما اختفت وابتلعتها شوارع دبى المزدحمة، ولا أحد يدرى وجهتها، فعاد غلوم من الخارج وقد شحب وجهه من كثرة البحث عنها ، بينما حملت مريم عبد الرحمن لتسكته، وقد هدأ انفعالها.. وتركت أمه لتنام ، وسألت أخاها قائلة:

- ألم تعثر عليها؟

- كلا .. كما لو كانت الأرض انشقت، وابتلعتها.

ثم جفف عرقا يتصبب وتطلع إليها مليا ثم قال:

- هل حدث تصادم بينكما؟.

ابتسمت مريم في هدوء ابتسامة ماكرة..

فضحك (غلوم) وعلق قائلا(إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)

وحاول الانصراف ليواصل عمله لكن أم عبد الرحمن استيقظت واستوقفته ، بينما قالت مريم : ترى أين ذهبت رولاتا ؟.

- أعتقد أنها عادت إلى ابن عمها بالمزرعة إنها لا تعرف هنا أحداً غيره. جالت بنظراتها في فضاء البيت، بينما قالت أم عبد الرحمن لزوجها:

- لا تنس الخبز ياأبا عبد الرحمن، والأرز البرياني.

ثم انصرفت إلى الداخل لترضع الصغير بعد أن أومأ بالإيجاب،

وعادت مريم لتقول لأخيها شاردة:

- أخش على(عبد الله) من رولاتا إن عادت إليه وانفردت به.

- أهي الغيرة إذن ؟.

- إنها كالحية لينة الملمس ولكن لدغتها والموت !!.

أمسك بيدها وقال لها في ثقة :

- (عبد الله بابو) عرف الطريق الصحيح، وحسن إسلامه، فلا تفقدي الثقة فيه.

- وحديث نبى الأمة يقول " **ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما**".

- صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاد فقال قبل أن ينصرف.

- لقد خرج من الأزمة السابقة بسلام وأتى بها عندنا.. فاطمئنى ومع كلٍّ سوف أمر عليه.

أقامت دائرة الأوقاف، والشئون الإسلامية حفلا كبيرا (لعبد الله بابو) بعد أن أخذ حكما من المحكمة الشرعية يؤكد اسلامه.

وحضر الشيخ مسعود وجميع مريديه وتلامذته ومعارفه، كما حضره محمد غلوم - بعد أن استأذن من الشيخ ووافق -، وبعض رئيسات الجمعيات النسائية وكان من بينهم "مريم" وبعض زميلاتها المدرسات ، ونخبة من أجهزة الإعلام ليصوروا الحفل ويسجلوه ..

وبدأ الشيخ مسعود الحفل بكلمة الافتتاح، ونبذة عن حياة (عبد الله بابو) وكيف آمن وصح إسلامه.

وكيف خلصت نفسه من أطماع الدنيا، وبرئ من نزواتها وشهواتها وصار يقضى يومه متوضئا ، يردد اسم الله ، ويصحو على ذكر الله.

وأصبح بعد اعتناقه الإسلام يحيا فى واحة من الأمن والسلام..

واختتم الشيخ كلمته بهذه المفاجأة:

– ولقد قررت الدائرة انتقال (عبد الله بابو) لوظيفة مترجم لجميع الكتب الدينية من العربية إلى الإنجليزية ، بمكتبة دائـــرة الأوقـــاف والشـــئون الإسلامية. وضج الحاضرون بالتكبير .. ثم دعاه ليتسلم المكافأة ، وكانت عبارة عن مفتاح لسيارة جديدة ، ومفتاح أخر لشقة الزوجية ، ومبلغ من المال وصعد عبد الله إلى المنصة لاستلام الجوائز وسط التكبير والتسبيح والتصفيق من بعض النسوة الحضور .. واختتم الحفل المشـــهود بهـــذه الكلمة التى ألقاها (عبد الله بابو) بلغة عربية صحيحة لا تخلو من بعـــض الأخطاء،

قال فيها بعد السلام والثناء على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبعـــد تقديم الشكر لكل من ساهم فى الحفل والجوائز – وقال :

– أقف عاجزا أمام نعم الله على .. ولكن يجـــب أن أعتـــرف بالشـــكر والعرفان للشيخ مسعود الذى أخذ بيدى إلى الحقيقة .. وإلى نور الهداية.. وبصرنى وعلمنى وثقفنى .. ثم تركنى أختار الدين الذى يميل إلى قلبى، وعقلى بعد أن درست جميع الأديان فى مكتبته العريقة الخالدة ، واخترت الدين الإسلامي بعد أن درسته وخبرته واقتنعت به قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم " **من صنع لكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له"وأنا أدعو له فى كل سجود ، ولكل من أعاننى وهدانى إلى صراط حميد".**

كما أن هناك مخلوقا أخر صغيرا مباركا عرفت الله عن طريقه هذا المخلوق الذى ميزه الله تعالى وأعطاه منزلة عالية عن مخلوقاته الأخرى، وذكره فى كتابه الكريم فى مواطن مختلفة وأوحى إليه. إنه هو "النحل"..

وعاود الحضور التهليل والتكبير .. ثم واصل كلمته العصماء فاسترسل قائلاً.

فبعد تأملاتى فى أحوال النحل وأنا أعامله كحارس فى البداية لخلاياه ثم نحال .. زادت نظرتى عمقا بقدرة الله وعظمته، وتفتح ذهنى عن معان فى القرآن الكريم لم يكن لى عهد بها فدرستها على يد شيخنا مسعود وتفكرت ودرست وتعلمت ، فشكرت الله ، وكبرته وعبدته حق عبادته .. كما لا أنسى ما حييت من أخذت بيدى هى وأخوها ودفعانى إلى البحث عن الإسلام حتى أحببته حبا ملك على حياتى .. ففزت بها وخطبتها لتكون لى زوجة المستقبل .. إنها الأستاذة مريم (غلوم).

وابتسمت مريم وخبأت وجهها استيحاء حينما تسلطت عليها كاميرات "التلفاز" ، ثم اختتم (عبد الله بابو) كلمته بهذه المفاجأة فقال :

بقى أن أقول لكم يا أحبائي فى الله.. إننى بعد أن أتزوج واستقر سأخرج إلى العالم بمشيئته سبحانه وبمساعدة منكم للدعوة إلى الله، للمسلمين وغير المسلمين.. نعم إنهم فى حاجة إلى الإيمان الصحيح، وهناك ياأحبائى من لا يعرفون شيئا عن الإسلام، وهناك مسلمون فترت عقيدتهم، وانصرفوا عن جوهر دينهم، فلن أتراخى عن أداء ذلك الواجب

المقدس ما حييت وأعدكم بهذا ، والله على ما أقول شهيد ، والسلام عليكم ورحة الله وبركاته..

وبعد أن انتهى الحفل عاد عبد الله إلى المزرعة بصحبة غلوم ومـــريم .. فى سيارته الجميلة، وكان قد تعلم فن القيادة على يدى غلــوم مـــن قبــل وحصل على الرخصة .. قالت له مريم فى فضاء المزرعة .

الليل بهيج حنون.

فأكمل (عبد الله) بصوت هائم سعيد

– القمر ساحر ساهر ..

– والأنسام الليلة فى أرج وعطر .

قال (غلوم) :– هذه المزرعة بمثابة ريف جميل ساحر

قضيت أحلى ساعات العمر فيه ..

أضاف عبد الله بصوت حالم :

يا لنخيله ، وأشجاره ونباته ، يا لأفراحه ولياليه، يا لسكونه الـــذى يهـــزأ بضجة المدينة ، يا لقناعته التى تهزأ بجشع كثير من الناس بالإيمان الذى يهزأ بجحودهم .. كم تمنيت أن أبقى فيه أبداً.

فسألته مريم بصوتها الرقيق:

– كيف إذا ستترك العشيرة والأهل والصحاب والذكريات والذين تحـــبهم ويحبونك ، وتذكرهم ويذكرونك .. لتطوف آفاق الأرض .. كما وعدتنا فى الحفل الميمون .. كيف؟.

سرح عبد الله بعيدا ثم قال لها:

- ستكونين برفقتى ، بعد أن نتزوج لكى نملأ آفاق الدنيا بالدعوة إلـــى الله.. إلى النور إلى الذكر ، ثم .. نعود ثانية إلى الإمارات. لقد صارت وطنى.

همس (غلوم).

- كل شئ جاهز لم يبق إلا موعد الزفاف.

قال عبد الله متلهفا :

- ما رأيكما أن يكون فى الغد ؟.

ضحك الجميع لكن مريم همست :

- بل آخر الأسبوع حتى أستعد له.

ولمحه غلوم شاردا فقال متفكها:

- عبد الله يفكر فى القيود الزوجية أراهن على ذلك.

إبتسم عبد الله وقد أفاق:

- ستكون قيودا من ذهب.

قالت مريم : وسوف أعينك على المثل العليا التى ارتضيتها ، إنهـــا فـــى دمى كما هى فى دمك.

- سلمت لى.. ياحسن الدنيا وبهجتها.

وأضافت فى إخلاص:

- وستجد وقتا للقراءة والتأمل ، ولن أدع الحياة الزوجيـــة تأخـــذك فـــى دوامتها..

هلل غلوم وصفق لأخته قائلا:

– منطق صائب .. وإيثار عبقرى ووفاء فى زمن عز فيه الوفاء، اللهم لا من ولا حسد.

ابتسم عبد الله وقال:

– الآنسة مريم مثالية ، ندرت مثاليتها بين النساء إلا ما رحم ربى.

قال محمد غلوم فرحاً:

– مبارك مقدما هذا الزواج ألف مرة.

وقبل أن ينصرف هو وأخته .. همست مريم "لعبد الله بابو" قائلة:

– ألم تفكر فى أن تغير شيئا من معتقدات ابنة عمك؟

– لم أرها منذ رحلت من عندكم .. ولم أجد لديها قبولا ..

قال غلوم :

– وأنا أشهد على ذلك .

لكنها أقسمت أمامى أن تتشبث بك ، ولن تتركك تفلت من حياتها.

ضحك (عبد الله) وسعد فى نفس الوقت بغيرتها عليه وقال مطمئنا :

– ليطمئن قلبك ، فالإنسانة التى استهترت بمشاعرى ، وفترت عواطفها نحوى بمجرد أن اشتراها رجل ثرى ، وحاولت إنتزاعى من دينى الإسلامى إلى معتقداتها ، ولم تستجب للإيمان بالله .. لا تلزمنى فى كثير أو قليل.

قال غلوم لمريم:

إطمئنى ياأختاه فصفحات حياته الجديدة بيضاء وقد بــدأها عــن وعــى وصدق وإيمان وحبك في قلبه يشع نورا وصفاء ، ورسوخا ابتسمت فــى رضا .. ثم انصرفت مع أخيها لتستعد ليوم الزفاف ..

قال عبد الله بابو للشيخ مسعود ، وكان واقفا أمام المناحل وكأنه يتبتل:

- اسمح لى يا سيدى أن أتردد على المناحل من وقت لآخر بعد أن أتسلم عملى الجديد فى أول الشهر القادم.

قال الشيخ مبتسما:

- المناحل وكل ما فى المزرعة وما أملك طوع أمرك يا عبد الله.

خطف (عبد الله) يد الشيخ وقبلها.. فنزعها بسرعة وقال:

- أستغفر الله .

- يا سيدي إنه لشرف كبير أن أقبل يدى شيخى ومعلمى..

ربت الشيخ على رأسه مبتسما بينما أضاف (عبد الله) فى تبتل، وعرفان:

- دعنى أقبل هذه اليد التى لم تدنسها الأهواء ولا الشهوات.

قال الشيخ فى تواضع :

- بل صرت أنت أفضل منى ، ومنا جميعا .

- حاشا لله ياسيدى .. ومن أكون بالنسبة لك .. إننى مهما بلغــت مــن الهداية لن أصل إليك .. إننى بالنسبة لك قطرة فى محيط.

- الاسلام يجب ما قبله ، وقد صرت بعد إيمانك صفحة بيضاء تضئ وجهك إشراقا فى حب الله كالقمر فى تمامه، يشرق فى سماء صافية الأديم ، وصار يقينك محصنا بالعلم، وعلمك معتمداً على اليقين .

- " ولكن معرفتي بالله ليس لها نهاية .. إننى عاجز عن الوصول إلى حقيقة ما وراء آيات الله ..

- يقول أحد الصالحين (العجز عن درك الإدراك إدارك).

ثم أضاف الشيخ :

- وفى أدب العبودية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(**لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك**).

قال (عبد الله) فى خضوع وشوق :

- زدنى يا سيدي زدنى.

قال الشيخ:

- إن تيار الجدل الفلسفى عن الدين الإسلامى كاد يجرف الناس ويشغلهم عن إخلاص العمل لله تعالى ، فلابد كما قلت فى الحفل من صيحة قوية منظمة ترد الشاردين عن المعرفة، وترشد الحائرين إلى الجادة ، وتهدى الضالين إلى الصراط المستقيم، فإذا نويت الخروج إلى الناس لتدعوهم إلى ربهم ، فعليك بالأسلوب العلمى المنظم الذى يجمع بين العلم والعمل.

قال عبد الله :

- هل يتطلب منى ذلك الأسلوب شيئا معينا؟

- يتطلب منك النظر بعمق فى نصوص الكتاب والسنة، نظرا يربط كل نص بموضوعية ، ويضعه تبيانا لحكمته ، وتقريبا للعقول ، والقلوب، منبها على معانيها ، مشيرا إلى أسرارها مبتعدا عن ميادين الجدل والمراء، مبينا طريق العمل بها ، شارحا آثارها ، مستشهدا بمواقف السابقين من صالحى الذمة لاستمالة القلوب بعبارات سهلة يكسو كلامك نور الحق وضياء الهدى.

- سأفعل إن شاء الله.

اقترب الشيخ مسعود من إحدى خلايا النحل وضحك ، فسأله عبد الله عن سر انبساطه فقال:

- يبدو أن حشرة كبيرة دخلت الخلية فقتلتها الشغالات بسمها وصعب عليها سحبها خارج الخلية.. إنها كما تعلم تهاجم أى عدو بسمها إذا اقتحم الخلية

- وما العمل يا سيدى .. هل أمد يدى لأخرج الحشرة؟.

- بل هذه مهمة الشغالات ...

- كيف ياسيدى ؟.

أنظر !! إن شغالات النحل قد أتت بمادة إسمها العكبر لتغطى جسم الحشرة الميتة .. لتحافظ على نظافة الخلية من أى تلوث.

قال عبد الله بابو وقد عاد إلى حيرته

- ومن أين تجئ بالعكبر هذا ؟.

قال الشيخ موضحا :

- تجئ به شغالات النحل من براعم الأشجار، وتجنيه وتحمله فى سلة حبوب الطلع التى توجد على أرجلها الخلفية.

- ما شكله، وما لونه وما طعمه؟.

- العكبر هذا مادة صمغية ، تشبه الغراء ، وله رائحة عطرية نفاذة، وطعم مر ، ولون يختلف باختلاف المصدر النباتى الذى جمع منه.

- وهل للعكبر فوائد أخرى غير تغطية جسم الحشرات الكبيرة الميتة داخل الخلية؟.

هز الشيخ رأسه بالإيجاب وقال:

- له فوائد كثيرة منها أن شغالات النحل يستخدمنه لتبطين وتلميع جدران العيون السداسية الشمعية من الداخل بهذا العكبر ، وذلك قبل وضع الملكة للبيض فيه.

هلل عبد الله وكبر:

- لا اله إلا الله وسبحان الله.

ثم أضاف الشيخ :

- كما تلصق به الثقوب والشقوق الموجودة فى الخلية، وهى أيضا تستخدم العكبر كمادة مبيدة للجراثيم، كما تضيق به مدخل الخلية لمنع دخول أى غريب، وتستخدم العكبر أيضا فى طلاء جدران الخلية لمنع

الجراثيم ، وليكون العكبر حائلا ضد الرطوبة فى حالة تضـــييق مــدخل الخلية وسد الشقوق ، وحتى تمنع دخول الماء أثنـــاء هطــول الأمطـــار الغزيرة ، إذا كانت خلايا النحل فى الفضاء كما تثبت شــغالات النحــل أجزاء الخلية جيدا بالعكبر مما يجعل الخلية تتحمل عملية النقل ، كما أن العكبر وحبوب الطلع وغذاء الملكات و سل النحل فيه شفاء للناس مــن أمراض كثيرة سوف أطلعك عليها فى المرات القادمة بإذن الله تعــالى ".

وانصرفا لأداء فريضة العصر..

خرج (عبد الله بابو) من المسجد عقب صلاة العشاء ، كانت بيده المسبحة التى أبداً لا تفارقه منذ أهدتها إليه ذات يوم خطيبته مريم ، بعد أن اهتدى للإسلام ، ومنذ علمه الشيخ التسابيح وفوائدها ومضى فى طريقه قاصــدا غرفته بالمزرعة ، وهو يردد الصلاة على النبى، فقد قال له شيخه ،إن من قالها كل يوم عشر مرات ، أدركته شفاعة الرسول صــلى الله عليــه وسلم يوم القيامة، وقد ترك (غلوم) يحاسب الشيخ على إيراد (التاكســى) عقب الصلاة ، ومعهما بعض المصلين .. كانوا يقفون أمام المسجد.

وما إن دخل (عبد الله بابو) غرفته المظلمــة، وضــغط مفتــاح النــور الكهربائى ليضئ الحجرة، حتى انفجر موقد الغاز، واشــتعلت النيــران بالغرفة.. فهرول خارجا، وقذف بغطرته المشتعلة بعيدا كما خلع جلبابه، ثم ارتمى فوق الأرض الرملية وتمرغ فيها ليطفئ نارا قد اشــتعلت فــى زراعه الأيمن.. وكان يصرخ ويصيح:

- أنقذونى .. أدركونى .. أغيثونى .

ثم سكت مرة واحدة ، ومن لطف الله أن حول النافذة خلاء لكانت النيران التهمته كما التهمت كل شئ بالغرفة..

وهرول الشيخ وكل من معه وأتوا على صراخه ، كما تسابق بعض المزارعين فى إطفاء الحريق حتى تم لهم ذلك وأسرعت سيارة الإسعاف، والنجدة ، والمطافئ إلى موقع الحادثة الرهيبة، ودهش الناس لمنظر (عبد الله) الذى لم يكن مصابا بالحريق فحسب وإنما وجدوه ينزف دما من صدره بغزارة .. وفى لحظات نقل إلى المستشفى ، وحانت من (غلوم) التفاته ، فرأى سيارة حمراء من الطراز الألمانى تنطلق كالسهم ، رأى فيها أشبحى رجل وامرأة لم يتبين ملامحهما ولم يستطع أن يلتقط رقمها، ولكن ملابس الرجل كانت تدل على أنه كاهن ، وهكذا أدلى (غلوم) بشهادته أمام رجال الشرطة ، وعندما طلب الطبيب من يتبرع (لعبد الله بابو) بالدم ،تسابق الحضور ، حتى مريم سرعان ما حضرت عندما أبلغها أخوها بالحادثة ، وهى وكل الناس يريدون أن يحظوا بهذا الشرف الكبير، أما (عبد الله بابو) فكان فى غيبوبة .. لم يفق إلا بعد ساعتين. إن الأطباء اكتشفوا جرحا نافذا فى الرئة اليسرى لكن الإصابة لم تصل إلى القلب .. هذا غير الحرق الذى أصاب ذراعه الأيمن وبعض أجزاء قليلة من جسده ..

قال الطبيب لقد نجى من الحريق بمعجزة إلهية .. وقال طبيب آخر . الحمد لله .. إن عناية الله كانت تحرسه ، بضعة ملليمترات أنقذت حياته.. لأن الإصابة فى القلب قاتلة على الفور ..

وقال غيرهما :

- إنها جريمة مدبرة .. وإجراءات الطب الشرعى ستظهر الحقيقة وكذلك رجال الشرطة .

أخذ الشيخ مسعود ومن معه يدعون لأخيهم (عبد الله بابو) بالنجاة، وقال لهم الشيخ : يا أبنائى ألحوا فى الدعاء، ثم ردد فى أسى:

- إن الأيدى الشريرة أرادت أن تسكت صوته إلى الأبد لأنه نطق بكلمة التوحيد .. كلمة الحق .

وقال (غلوم) بصوت حزين - تعصب أعمى.

أما مريم فقالت باكية : لقد اختار طريق الله ، ولن تستطيع قوة فى الوجود أن تطفئ نور الله .

فى اليوم التالى زال الخطر ، وتحسنت حالة (عبد الله) بعد إجراء الجراحة له، فهتف أحباؤه قائلين تباعا أمام غرفته:

- إننا معك على الدرب سائرون.

- وبدين الله مستمسكون ، والنار التى أضرموها فى جسدك كانت بردا وسلاما بإذن الله.

- والخنجر الذى صوبوه إلى صدرك لن يغير قدر الله ، والله غالب على أمره. لقد أحبه الناس ..فازدحم مستشفى دبى بحشد من الزائرين كانــت مريم تقف إلى جوار سريره ، بعد أن نقلوه من العناية المركــزة ، وزال الخطر ، وعلى الجانب الآخر الشيخ مسعود وبيــده عبــوة بهــا عســل النحل..

قرأ (عبد الله بابو) فى كل العيون ، والوجوه عبارات الحــب والوفــاء. عبارات ، لم ير ، ولم يسمع مثلها فى حياته من قبل ، عبارات عوضــته عن حرمان السنين ، فدمعت عيناه فرحا وحمدا لله الرحمن جففت(مريم) دموعه ، بعد أن انتهى طابور المحبين ، ونظرت إليه فــى ود عميــق، نظرة من غير كلام ، لكنها أودعتها كل مشاعر الحب ، والود والرحمة..

أما (غلوم) فقد شرق بدموعه، ولم يستطع الكلام، لكنه كان دائم الدعاء له فى صمت دفين..

قال (عبد الله بابو):

- أتبكيان ؟

لقد نجانى الله من موت محقق ، وأعتقد أن ذلك كان بسبب الصلاة علــى حبيبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد رأيته فى المنام ، يمسح على رأسى بيده الشريفه ويبتسم لى.

ردد الجميع : صلى الله عليه وسلم ، وقال الشيخ هذه بشرى الشــفاء إن شاء الله فأبشر.

ثم أضاف : وعسل النحل هذا سيكون علاجك من الحروق.

ثم وضع عبوة أخرى كانت معه وأضاف :

- وهذا عسل نحل مخلوط بغذاء الملكات ، فاليعطى ملعقتان قبل طعام الإفطار كل يوم ، وسوف يساعده على الشفاء إن شاء الله.

قال غلوم.

- سمعا وطاعة.

نشطت الشرطة في البحث والتحرى عن السيارة الألمانية الصنع الحمراء اللون، وعمن كانا فيها ، ولقد عرفت أجهزة الأمن الخليجية بالمهارة ودقة التحرى والمتابعة ، فأمن البلد يقتضى الإمساك بكل من تسول له نفسه الإخلال بالأمن ، والإعتداء على أرواح الناس، أو عدم احترام سلطة الدولة ، فالدولة تعيش فى أمان واستقرار

سأل الضابط المحقق (عبد الله بابو) قائلا:

- " ألك أعداء ؟"

فأجاب قائلا :

- كلا ليس لى أعداء إن كل من أعرفهم يحبوننى وأحبهم.

لكن (مريم) تدخلت قائلة:

- بل له أعداء ياحضرة الضابط إنها (رولاتا) ابنة عمه أتت من الهند لتفعل فعلتها.

قال عبد الله منفعلا:

- اصمتى يا مريم .. أرجوك.

ثم أضاف :

- ياسيدى الضابط ، إننى أحمد الله على أن كتب لى النجاة ، أما الجانى فلن أجنى من وراء عقوبته شيئا ذا بال.

قال الضابط المحقق فى إلحاح.

- لابد أن ترشدنا بكل ما لديك حتى تأخذ العدالة مجراها ، فأمن البلد كله يقتضى الإمساك بالمجرمين.

ثم أضاف:

- هيه .. هل تشك فى (رولاتا)؟

صمت عبد الله بابو ولم يجب ..

فوجه السؤال لمريم :

- لماذا أتت رولاتا من الهند هكذا فجأة إلى الإمارات؟.

وهمت مريم أن تجيب ، لكن (عبد الله) سبقها قائلاً:

- إنها ابنة عمى .. أتت لزيارتى من موطننا الهند ثم رحلت لحال سبيلها.

مالت (مريم) على أذنه وقالت مؤكدة:

- أقسم إنك مازلت تحبها.

صمت (عبد الله) ولم يعلق ، بينما عاد المحقق للمساءلة:

- هل لغرفتك التى احترقت مفاتيح؟.

– لم يكن لها غير مفتاح واحد .

– أين هو ؟.

– ربما فى جيب جلبابى الذى رميته وهو يشتعل أمام الغرفة.

– لم نعثر عليه أثناء المعاينة، فتذكر جيدا أين اختفى.

– ربما سقط منى سهوا وأنا أصلى العشاء.

– فتشنا المسجد ، والاستراحة والساحة .. فلم نجد له أثرا .

– لا أدرى .. أقسم إننى لا أعرف أين اختفى.

– هل وجدت الغرفة مغلقة بالمفتاح لحظة عودتك إليها قبل وقوع الحادث؟

شرد عبد الله بعيدا ثم تذكر .. فقال على الفور.

– تذكرت .. لم تكن مغلقة.

– هل أنت موقن أنك أغلقتها بالمفتاح قبل الذهاب إلى المسجد؟.

– لا أتذكر ..

وتمكنت أجهزة الأمن من معرفة الفندق الذى نزلت فيه (رولاتا) فاستطاعت أن تمسك بها ، وبتفتيش حقيبة يدها عثروا على المفتاح المفقود بها فكان الدليل الدامغ .. والخيط الرفيع الذي كشف أسرار الجريمة ..

فى التحقيق أنكرت (رولاتا) أية صلة لها بشئ عن الكاهن.

كما أن (محمد غلوم) لم يستطع الجزم بأنها هى التى كانت مع الكـــاهن ذلك لأن المسافة لم تكن بالقصيرة ، والضوء الكهربائى كان خافتا ..

سألها الضابط المحقق بعد أن عرف من (غلوم) أنها فـــرت مـــن بيتـــه واختفت كلمح البصر ، ولأن (عبد الله) رفض مبيتها عنده بالمزرعة فقال لها:

– اين أقمت فى تلك الفترة بعد فرارك من بيت غلوم؟

تلعثمت (رولاتا) ثم قالت :

– أقمت بفندق (النخيل) بمدينة دبى الذى أمسكتمونى فيه.

– من أين أتيت بتكاليف الفندق والإقامة والسفر ؟

– كان معى مال كثير .. أُهداه إلى السيد (باتشا) عندما تنازل عنى لأبى

– وكيف حصلت على فيزا الدخول إلى الإمارات؟ ومن ســـاعدك علـــى ذلك؟

– حصلت عليها بسهولة لأنها عن طريق السياحة وإقامتها شهران كمـــا علمت .. ولم يساعدنى أحد غير أبى وبعض معارفه.

– ومن صحبك إلى المزرعة ، وكيف عرفت عنوان ابن عمك (عبد الله بابو)

– لم يصحبنى أحد ، وعرفت عنوانه من الخطابات التى كان يتبادلها مع أبى فى الهند ، وسألت سائق التاكسى فأتى بى إلى المزرعة".

– والغرض الحقيقى من الزيارة .. أهو الانتقام من (عبد الله بابو) لتركه عقيدتكم .. أم الحب والغيرة كما تدعين؟.

وهنا رفضت الإدلاء بأية معلومات أخرى إلا بحضور مندوب من السفارة الهندية ، كما طلبت محاميا من الهند كي يطلع على التحريات ويدافع عنها.انصرف المحقق ، وقد أودعوها فى سجن الشرطة الاحتياطى الخاص بالنساء .. وأنها رهن المحاكمة.. كسجينة خارج وطنها.

وتعاونت شرطة دبى مع شرطة رأس الخيمة فى البحث عن السيارة الحمراء الألمانية المستأجرة ، واستطاعتا الإمساك بخيط عندما عثرا عليها تقف أمام فندق النخيل الذى نوهت عنه (رولاتا) أثناء التحقيق ، وتمكنوا من معرفة المستأجر ، فقد أكد لهم صاحب السيارة المستأجرة أنه كان كاهنا وبرفقته فتاه ، تدعى (رولاتا) وهى التى دونت اسمها عند بمكتب استئجار السيارات كما جاءوا برسام من قبل الشرطة وأخذ فى رسم ملامح الكاهن الهندى وملابسه التى كان يرتديها حسب المواصفات التى أدلى بها صاحب مكتب السيارات ، فحامت الشبهات حول الكاهن، وعلى الفور أصدرت الشرطة أوامرها بمنع الكاهن من السفر والقبض عليه قبل مغادرة البلاد ، وذلك بعد إرسال الصور التقريبية لملامحه وهندامه ، وتوزيعها على جميع مطارات الدولة ومنافذها.

ومن ناحية أخرى فاجأ الضابط المحقق (رولاتا) وهى فى الحجز بوسائله المباحثية الخاصة كى تعترف بالحقيقة ، للإيقاع بالجانى المتعاون معها فى الجريمة .. فأفهمها ، أنهم قبضوا على الكاهن ، وقال لها:

– المتهم اعترف.

فاندفعت قائلة دون روية :

- الكاهن شيكار ؟.

- هو بعينه .

- وبماذا اعترف ؟.

- بأنك أنت المدبرة الحقيقية لسرقة المفتاح ولحريق الحجرة بعد أن قمت بقطع خرطوم الأنبوبة ، ولما لمحت (عبد الله بابو) أنه ما زال على قيد الحياة قمت بطعنه بخنجر وهو ملقى على الأرض ، للتخلص منه نهائيا.. فما قولك فى اعترافات الكاهن شيكار؟.

صمتت (رولاتا) باكية ، فعاد المحقق يقول لها ليخيفها:

- " صمتك هذا سيوصلك إلى حبل المشنقة ، أما إذا اعترفت سيخفف عنك الحكم". فانهارت باكية واعترفت بالحقيقة كاملة بأنها كانت ضحية ، وأن كل ما قاله الكاهن هو الكذب بعينه والافتراء .. فهو الذى خطط ودبر ، منذ أتى إلى الهند. وقالت :- - وأعطانى أموالا وخلصنى من عبودية (باتشا) ودفع له الثمن بالدولارات حتى اسألوا (باتشا)، ولما فشلت محاولتى فى الإيقاع بابن عمى وإعادة ثقته إلى ومحبته وذلك للتخلى عن دينه الجديد ثم ليتزوجنى لما عرف الكاهن (شيكار) كل ذلك منى .. قرر التخلص منه.

- وأين خبأ (شيكار) الخنجر ؟

- دفنه فى حفرة بشرق المزرعة.

عاد فسألها:

- ولماذا رافقته يوم وقوع الجريمة ؟.

- هو الذى أصر على ذلك ، ليبعد عن نفسه الشبهات ، ويلصق بى جميع التهم.

- وكيف هانت عليك نفسك؟

- من أجل الواجب المقدس .. هكذا أفهمني ، كما أغرانى بأموال كثيرة، ووعود تكفل الأمان لى ولأسرتى البائسة، وطمأنني أننا سنهرب معا، ونفلت من يد العدالة.

ثم قالت من خلال دموعها:

- صدقنى يا سيدي المحقق .. إننى بريئة .. إننى ضحية .. لم أقترف شيئا مما حدث .. ولم أشترك معه فى أى شئ.

قال الضابط : سنرى .

ثم عاد فسألها : وكيف عثرت على المفتاح .. هه ؟!!

- أخذته خلسه من باب غرفه (استيلاس) يوم قرر مبيتى عند أسرة (غلوم) ، وتركت الحجرة مفتوحة ،لكى أعود إليه مرة أخرى ، وأحاول التأثير عليه من جديد ، وقلت ربما يكون معه نسخة أخرى فيغلق الباب ، لكن الكاهن اتصل بى على المحمول ، بعد أن فررت من بيت (غلوم) وأمرنى أن أتوجه إلى فندق النخيل ، وهناك سألنى عما حدث بينى وبين

استيلاس، فشرحت له كل ما دار بيننا فصحبنى على الفور إلى المزرعة، وقد قرر التخلص منه.

وصمتت برهه ، ثم قالت من بين شهقاتها : كيف أقتل من أحبه قلبى؟

قال المحقق متهكما : الحب الصادق إيثار وتضحية ، والذى قمت به مع شيكار يدل على الوحشية والغدر والتواطؤ والانتقام .

صاحت باكية من جديد :

- لكننى لم أشارك الكاهن فى أى شئ مما فعله.

قال المحقق :

- ضللت العدالة ، وباركت كل خطوات الكاهن ومخططاته ، ولو كنت حسنة النية لنبهت ابن عمك قبل وقوع ما حدث له ، أو اعترضت على ما خططه الكاهن من جرائم ، أو أبلغت الشرطة، لقد تسترت على الكاهن (يارولاتا) .. فأنت شريكة فى كل شئ من البداية حتى النهاية .

- خفت أن أعترض ، فيقتلنى ، أو ينتقم منى .. كما أن الكاهن لم يعطينى فرصة ، لكى أبلغ الشرطة .. أو أنبه (استيلاس) بما سيحدث له.. صدقنى يا سيدي.

قال المحقق :

- عموما الحكم النهائى أمام القضاء .

تمكنت أجهزة الأمن ، من القبض على الكاهن فى مطار (أبو ظبى الدولى) بعد أن أصدروا أمرا فوريا بمنعه من السفر، واعتقاله فى المطار، ثم قامت السلطة بترحيله إلى شرطة (دبى) تحت حراسة مشددة،

هناك فى التحقيق أنكر فى البداية صلته بالحادث ، فواجهوه بعدة أمـــور منها :

الخنجر الذى وجد عليه بصماته ، وتنكره تحت اسم مستعار، وجواز سفر مزيف ، ثم مواجهته بالشهود ، وأولهم (رولاتـــا)، ثـــم محمـــد غلـــوم ، وصاحب مكتب تأجير السيارات ، وكذلك مدير فندق النخيل الذى تـــردد عليه ورآه فاعترف عليه ، فلم يجد

الكاهن منفذا غير الإعتراف بكل الجرائم ، والجنايات ، وسر المـــؤامرة كاملة ، وذلك بعد بذل الجهود المضنية من قبل أجهـــزة الأمـــن .. وتـــم محاكمتهما ، السجن عشرةأعوام للكاهن والحبس سنتين (لرولاتا)، ولولا أن الكاهن إتهم (رولاتا) بأنها كانت على علم بكـــل خطواتـــه – وذلـــك انتقاما منها لأنها فضحت أمره – لأخذت حكما بالبراءة ..

همس عبد الله بابو بصوت يجرحه البكاء وهو على سرير المرض

– كنت أريد أن يعفوا عن رولاتا ويعتبروها شاهد ملك

قالت مريم مغتاظة

– أما زلت تدافع عنها بعد أن صرحت باشتراكها مع الكاهن شيكار فـــى الإعتداء الأثيم عليك أمام المحكمة؟.

– كانت لحظة طيش ، وجهل منها ، وقد هونوا عليها الجريمة.

– كنت أحسبك تطالبهم بإنزال أقصى العقوبة عليها لا بالحبس فحسب.

قال عبد الله بابو ، وقد سرح بنظراته الرحيمة فى فضاء الحجرة.

- أوصانا الحبيب المصطفى بأن نعفو عمن ظلمنا ، ونصل من قطعنـــا، ونعطى من حرمنا .. أوصانا أن نفش السلام، وندعو العصاة، والخطائين إلى التوبة والندم والاستغفار.

- قالت مريم محتدة : **وقال تعالى**(وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ)

ثم تطلع إلى وجهها ، وابتسم ليهدئ من ثورتها ، لكنها

قالت محتدة :

- أقسم أنك مازلت تحبها.

- لا أستطيع أن أكرهها .. فهى ابنة عمى ، وقد تربيت معها وأكلنا معا فى إناء واحد وكفلنى عمى بعد موت والدى فى الحادث الأليم كما ذكرت لك ولأخيك من قبل : وعوضنى عن حرمانى وتيتمى.

- لكنها لم تأت إليك لأنها تحبك كما ادعت ذلك، وقد انكشف المستور.

- أما زلت تغارين منها؟.

- أنا ؟.. أنا لا أغار من امرأة فجة كهذه " اتخذها كاهنهم ألعوبة فى يديه لتلعب عليك وتجرك إلى ملتهم مـــن أجـــل حفنـــة مـــن المـــال وكـــان (محمد غلوم) على مقربة منهما فعلق بهدوء .

- خطيبك لا يدافع عن (رولاتا) ولا عن غيرها، فقط يتطلع إلـــى عـــالم جميل لا تشوبه الشوائب ، وصار قوى الإيمان ، وتخلص من كل ظلال الشك فى قلبه وعقله ، ويتمتع بشفافية صـــافية نقيـــة ، فصـــار يـــبغض

السخرية من الآخرين واللمز والغيبة والنميمة .. فافهمى ياأختاه :وأضاف (عبد الله بابو):

– صدقت يا أخى .. وإننى أتهيأ بعد الشفاء بإذن الله لكــى أعــيش مــع (مريم) حياة زوجية هى الجنة والرضى والسعادة والهناء.

هدأت مريم ثم مالت على أذنى (عبد الله) وهمست فى حــب ، قبــل أن تنصرف :

– أعتذر .. يقولون فى الأمثال : العتاب على قدر المحبة .

فتطلع إليها مبتسما وكله نفس صافية نقية راضية:

– ليس هناك ما يدعو للاعتذار ، وثقى أنك هنا تسكنين قلبى. هلل محمد غلوم فرحا ،، وقبل جبين (عبد الله بابو) ثم انصرف مع أخته وهو يقول:

– نتركك فى رعاية الله .. لنستكمل بعض لوازم الفرح

– فى رعاية الله وحفظه .. ثم غط فى نوم عميق.

دهش (عبد الله بابو) فقد زالت أكثر آلام الحروق بمجــرد أن وضــع الشيخ مسعود عليها طبقة من عسل النحل فى اليوم الأول بعد خروجــه من العناية المركزة ، وبعد نحو ساعتين شعر بعودة الآلم مرة أخــرى ، فوضع طبقة أخرى من عسل النحل، فنقص الألم الجديد وهكذا ظل الشيخ يضع له طبقة جديدة كلما شعر بالألم الذى كان فى تناقص مستمر.

وعندما أقبل الشيخ مسعود لزيارته فى اليوم التالى سأله:

– ما أخبار آلام الحروق؟

قال (عبد الله بابو) فى سعادة:

- لا يوجد أى آلم على الإطلاق.

وقال الطبيب، وكان على مقربة منهما:

- إنه لم يحتج إلى علاج الحروق بالمستشفى نهائيا .. وقد قررنا ، أن نعالج الحالات الأخرى بالعسل النحل..

ثم أضاف الطبيب:

- "فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ" صدق الله العظيم..

وبعد العشاء عاد (محمد غلوم) إليه فطلب (عبد الله بابو) منه أن يدهن له ذراعه بطبقة أخرى من العسل ، ويلفها برباط طويل معقم .. ففعل ، ثم وضأه وهو فى سريره ، ومسح فوق الرباط مسحا خفيفا أثناء الوضوء، وصلى العشاء وهو راقد فى فراشه وذلك بتحريك رأسه فى الركوع والسجود، كما علمه شيخه، ثم تناول طعام العشاء، وبعد ختم الصلاة وتلاوة الأوراد ..

نام حتى الصباح ، وحين استيقظ كان خائفا من تغيير الرباط متوهما بأنه ملتصق بجلده ، وأن ذراعه لابد ولابد من انسلاخها ورفض تسليم ذراعه للشيخ مسعود ،ضحك الشيخ وقال:

لا تخف .. انزعه أنت بنفسك وسترى.. فنزعه ببطء شديد ، وتعجب للمفاجئة المذهلة .. إن كل طبقة تنفصل عن الأخرى بمنتهى السهولة،

واليسر حتى وصلت فى النهاية إلى آخر طبقة ، فاعتقد أن جلده سينفصل مع الطبقة الأخيرة للرباط ، ولكن يا للعجب هنا كانت المفاجأة المذهلة .. لقد كان الرباط ينفصل بمنتهى السهولة ويترك الجلد سليما .. ولا يلتصق به أبداً .. ولم تكن هناك فقاقيع المياه المعهودة ، ولم يضع عسلا فى اليوم الثانى ، وترك ذراعه عاريا معرضا للهواء ليجف .. وفى خلال يومين اثنين شفى تماما ، ولم يترك الحريق أى أثر على ذراعه .. وبعد سبعة أيام ظهر الجلد الجديد.. فصلى لله شكرا وحمده،

قال له الشيخ :

السبب الذى جعلنى أضع العسل على ذراعك المحترقة ، أننى قد تذكرت، حادثة سردها أحد أصدقائى ، وهى أن إحدى قريباته، أصيبت بحرق كلى، وأيقن الطبيب المعالج بوفاة المصابة لخطورة الحرق لأن مساحة الجلد المصاب كانت تقارب ثلث مساحة جلد الجسم ، أو ما يزيد عن ذلك، وبعد خروج الطبيب ، نصح بعضهم أهل المصابة بدهن جسمها بعسل النحل ، ففعلوا ذلك، ولاحظوا تحسن حالتها، فكرروا وضع العسل والتحسن مستمر إلى أن شفيت تماما، ولم يترك الحرق أى أثر على جسمها، وتعجب الطبيب أنها لم تمت، وبعد أن عرف السبب قال الطبيب:" أمنت بالله الواحد الأحد .. ثم تذكر قول الله تعالى فى العسل

فأخذ يردد "فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ" صدقت ياربى.

ثم أضاف الشيخ مسعود:

– ومنذ عرفت تلك الحادثة وأنا أعالج الحروق وغيرها بعسل النحل المبارك.

قال عبد الله فى دهشة :" وهل هناك أمراض أخرى تعالج بعسل النحل؟.

– معلوم .. إنه يعالج كثيرا من الأمراض هكذا عرفت من أصدقاء لـى يعملون فـى هـذا المجـال ، وعلمـاء ، وخبـراء ، وأسـاتذة نحـل بوزارةالزراعة فى جمهورية مصر العربية .. وعرفت أنه يعالج الجرب والجروح ، ومرض التينيا الجلدى ، الذى ينتج من كثرة لـبس الحـذاء، وكذلك يشفى التهاب الأذن إذا وضعت نقطا من عسل النحل فـى الأذن".

كما يشفى العسل سحابة العين والتهاباتها .. بوضع قطرة منه فـى كـل عين أربع أو خمس مرات يوميا مع شرب معلقة من العسـل المخلـوط بغذاء الملكات صباحا عن طريق الفم على الريق ، وجرعة أخرى قبـل النوم مباشرة لتمتص المعدة وتوزعه عن طريق الدم إلى جميـع خلايـا الجسم . مباشرة.

قال عبد الله بابو فى ذهول:

– ويشفى السحابة ؟

نعم ، لقد قمت بهذه التجربة مع طفلة صغيرة وشفيت بحمد الله تعالى بعد عشرة أيام فقط من قطرة العسل . ثم أضاف الشيخ:

– وهل تعلم أنه يقوى الشعر، ويمنع سقوطه إذا دهنت به فروة الـرأس، بل ينبت الشعر فى رأس الأصلع؟

وكثير من أصحاب صالونات الحلاقة الخاصة بالسيدات يدخله في مستحضرات التجميل لتقوية الشعر والبشرة وتجميلها كما ينظم الطمث ويشفى آلام البطن والمعدة ، هذا بالإضافة إلى أنه طعام مغذ ولا تحتاج المعدة جهدا لتهضمه ، بل تمتصه وتوزعه عن طريق الدم مباشرة وهو طاهر مطهر يقتل الجراثيم،

وهنا ردد (عبد الله) بحب :

- آمنت بك ياربى.

قال الشيخ : وهل تعلم أن غذاء الملكات يشفى ارتجاج المخ ، والتئام الجروح بسرعة ؟

كما يحسن الضغط بالإضافة إلى أن سم شغالات النحل يعالج الشلل وكثيرا من الأمراض الروماتيزمية ولكن يجب أن يكون تحت إشراف طبيب مختص.

قال عبد الله : إن عسل النحل يعتبر صيدلية كاملة لكثير من الأمراض ثم بلع ريقه ، وأضاف :

ويزيد إيمان المسلم ويعمقه .

ضحك الشيخ وأضاف:

- وغير المسلم .. يا عبد الله.

- صدقت .. آمنت بك يا ربى ..

- نعم إن ربى جعل عسل النحل فيه شفاء مطلق.

وللبشر كافة .. إنه رؤوف رحيم بعباده.

قال عبد الله بصوت أليم :- وبالرغم من ذلك هناك من يكفر بالله ..

ثم ردد الآية(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) صدق الله العظيم.

الحب فى نظر (عبد الله بابو)، هو الاندماج والتوافق فى ظل ما يؤمن به حتى لو اختلفت وجهات النظر أحيانا.. وهو واثق أن (مريم) تجبه بصدق ، وأنها ذات دين ، وتزن الأمور معه بروية ، وقد وقفت إلى جواره فى محنته ، وهو طريح المرض بالمستشفى ، فلمس معدنها الأصيل الذى لمع فى ساعات المحنة ، شئ واحد يقلقه ، هو غيرتها عليه وخاصة من (رولاتا) حتى بعد أن انصهرت خلف القضبان ، وعندما سأل شيخه عن قلقه بالنسبة للغيرة ، قال له شيخه:

- لا تقلق ، قد تتغير الأمور بعد الزواج.

- مجرد احتمال يا سيدي، فالحب عدو الشك والغيرة.

قال الشيخ:

- لا تقلق .. أقول لا تقلق .. قد نتحاب ، ونتشاجر ، ونختلف ونتفق .. دعها تعبر عن آرائها وآمالها وأحلامها ، وإنجازاتها، ومشاعرها .. إنها ثروة فلا تضيعها .

- وإذا ضغطت على بغيرتها ، فكيف أتصرف؟.

– بالصبر والعفو والتفاهم ، وبالعقل توزن الأمور ، وتصفو النفوس ، واعلم يا بنى أنّ المودة تستقيم بين الزوجين إذا اتبع كل منهما تعليمات القرآن والسنة ، وما جاء فى الأثر ..

قال رسولنا الكريم :" **أوصيكم بالنساء خيراً**". وقال :" **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكن لها يا ولدى السكن، والمودة والرحمة ، والتعاطف والألفة فيتحقق الأمن والأمان ، وتتردد الأنفاس السعيدة فى جنبات البيت والهناءة والسلام، فتكون (مريم) لك حينئذ الصدر الذى يحنو ، والعين التى تجود، والقلب الذى يحب، واعلم أن من حقها أن تغار عليك، تلك الغيرة المعتدلة التى لاغلو فيها، وغيرتها عليك من (رولاتا) هو دليل حبها لك، والتمسك بك، فلا تقلق.

تماثل (عبد الله بابو) للشفاء، وهدأت العاصفة ، وصفا الجو وسرعان ما تسلم عمله الجديد فى دائرة الأوقاف ، والشئون الإسلامية بمدينة (دبى) كمترجم بمرتب يفوق مرتب (مريم) الشهرى..

كما تسلم شقة جميله قريبة من عمله ، وعمل (مريم) تدفع الدائرة إيجارها السنوى، وقد شارك رفاق المسجد فى تأثيثها بأثاث أنيق رفيع الذوق .. ووضعت (مريم) لمساتها الرقيقة فى جنبات العش السعيد، من

ستائر ، ولوحات زيتية لمناظر الطبيعة الخلابة ، وقامت برسمها وتلوينها .. فأضفت على أركانه البهجة والسرور..

ولم يمر وقت طويل حتى تزوجا .. وقد تم عقد القران فى مسجد الشيخ مسعود ، وقد ساهم فى إقامة السرادق الكبير بساحة مزرعته العريضة، وحضر حفل الزفاف جمع غفير من الناس وأهل مريم والأحبة .. وضربت الدفوف وعلقت الزينات ومدت الموائد وزخرت بالأطعمة الفاخرة من خراف مشوية ومحشية بالأرز - البريانى - والحلوى والفاكهة وخلافه .. وكل ذلك كان هدية من شيخه الكريم وأصدقاء المسجد. وألف (عبد الله بابو) حياته الجديدة ، ونعم بوجود (مريم) إلى جواره وخلد إلى راحة حقيقية لم يذق مثلها طوال حياته..

وذات مساء .. همس لزوجه (مريم) قائلاً.

- إننى افكر فى زيارة (رولاتا) غداً بسجن النساء ".

نهرته بعينيها ولم ترد عليه .

عاد فقال لها :

- تعلمين أنه ليس لها هنا أحد غيرى .. وربما تحتاج لمعونتى .. وأبوها ربانى صغيرا كما تعلمين ، وجاء وقت الوفاء برد شئ من المعروف وربما تترك زيارتى أثرا طيبا فى نفسها ، فأستطيع بعد ذلك أن أدعوها إلى الهدى.

وهنا قالت (مريم):

- **يقول تعالى:**

(وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ **وقال تعالى** مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ)

إبتسم عبد الله لقوة حجتها ثم قال بصوته الشفيف:

- ياحبيبتى .. آلم تقرئى فى سورة الأعراف التى يقول فيها عز من قائل (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ)

قالت مريم:

- أكمل الآية يا محترم:(وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ)

ضحك (عبد الله بابو) من أعماقه وعلق قائلاً:

- يالها من غيرة مدعمة بالأدلة الدامغة ".

انتفضت مريم جالسة فى سريرها الوثير وقالت محتدة:

- كيف تعظ امرأة كافرة الله مهلكها ؟ هه ؟! كيف؟

ضحك عبد الله مرة أخرى لغيرتها وخفة روحها ولكنه رد عليها قـــائلا:

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم(وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ) **صدق الله العظيم.**

فلانت حدة (مريم) وهى تتمعن الآية وقالت:

- معذرة .. وما المطلوب منى؟.

- أن تعدى لها طعاما ثم تأتين معى لزيارتها غداً، وأنت راضية.

- سمعا .. وطاعة.

شعر عبد الله بارتياح شديد لاقتناعها، وأنها بدأت تفهمه وتقترب بينهما وجهات النظر شيئا فشيئا.

وقد شعرت مريم بالاطمئنان وأنها تستند فى وجود زوجها إلى أرض صلبة وأنها مع زوج مخلص لا يخدعها وكان بإمكانه زيارة رولاتا دون أن يخبرها كما تأكدت أن ثقافته الدينية عالية بل صارت أعلى منها بكثير، وأنه بمنأى عن النظرة الضيقة المتعصبة، كما عرفت من مناقشاتها معه أن التعليم وحده لا يجعل الإنسان مثقفا، ولكن الذى يجعله كذلك إحساسه بالانتماء إلى الإنسانية.. وقد انتمى عبد الله بابو إليها فى أصفى منابعها إنه القرآن والسنة.. فازدادت اقتناعا به إنه إنسان بلغ بأفق تفكيره الرصين مرتبة المعرفة..

نعم لقد آمنت (مريم) بإنه إنسان عرف الصفاء والحب وانغرس بخلقه ووجدانه من غير زيف ولا تصنع لذلك منحته حبها عن إيمان ، وصدق.

وتمت الزيارة .. زيارة (رولاتا) فى سجنها الذليل .. ورأت (مريم) الفرق الكبير الشاسع (رولاتا) الأمس غير (رولاتا) اليوم ، رولاتا الجميلة الأنيقة الشامخة .. ورولاتا اليوم الذليلة المهلهلة البئيسة

المنكسرة.. هالها ما رأت .. ورغم بشاعة الجريمة التى إشتركت فيها مع الكاهن وعزلها عن المجتمع ، إلا أنها شعرت بشئ من العطف عليها ولا تدرى تفسيرا لذلك ألان المرأة مخلوق عاطفى! أم لأنها تعيش بقلبها أكثر مما تعيش بعقلها ؟ والحياة بالنسبة لها نبض قلب ، لا وعى عقل؟

همست لزوجها فى تأثر قائلة:

– إننى اليوم لا أنظر إلى بشاعة الجريمة بمقدار ما أنظر إلى ظـــروف (رولاتا) السيئة إنها فعلا تستحق الإشفاق.هز رأسه فى ألم وقال لرولاتا:

– كيف حالك يا ابنة العم ؟

قالت (رولاتا) بصوت ذليل وهى تتطلع إلى (مريم) الســعيدة الوســيمة الأنيقة:

– افتقدتك إلى الأبد يا استيلاس.

ثم مسحت دموعا غزيرة وأضافت:

– كنت حلما جميلا، أفقت منه فلم أجده، هنيئا لكما حياتكما الجديدة.

قالت (مريم) بصوت فيه الرحمة:

– نحن طوع يمينك فى أى شئ تأمريننا به.

قالت (رولاتا) من بين دموعها:

– لا أريد غير رؤيتكما معا .. سيخفف عنى ذلك الكثير من معاناتى

قال (عبد الله بابو) فى نبرة صدق :

– أعدك بإذن الله أن تتكرر الزيارة.

وابتلعت ريقها ثم أضافت :

– وشئ أخر .

– مرينى يا أختاه .

قالت :– أنا نادمة على كل ما بدر منى ، وأبتغى مرضاتك.

– قد عفوت عنك يا ابنة العم.

– وأنت يامريم ؟.

– وأنا كذلك .. ثم انصرفا ..

وفى زيارة أخرى قالت (رولاتا) موجهه الكلام إلى ابن عمها هذه المرة بصوت حائر :

– رأسى يكاد ينفجر ، وعشرات الأسئلة تتوارد على خاطرى فى عنف ملتهب ، وليس هناك جواب شاف لأى سؤال .. وحصيلة ما قرأته ، وما سمعته من الكاهن ، وما سمعته منك عن الأديان ، قد أورثنى البلبلة والأرق والحيرة .. فماذا أفعل؟ أعطاها (عبد الله) كتابا عن القصص القرآنى ، كان قد ترجمه إلى اللغة الهندية ، وقال لها :

–(فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)

وقالت لها مريم:

– اقرئى القصص بقلب صاف.

وأضاف (عبد الله):

- اقرئى قراءة التأنى والتأمل، ليستوعب عقلك ما وراء اللفظ. وأكملت مريم :

إن فعلت هذا سترين كم من الحقائق كانت خافية عنك.

قال عبد الله :- املئى فراغك بالعلم الجاد والمعرفة ، إن فعلت ذلك ستضعين قدمك على أول الطريق الصحيح ، وتلتمسين الحلول السليمة .. وتسيرين فى الخط المستقيم .. الذى يقودك فى النهاية إلى الهداية والنور ، لا إلى البلبلة والأرق والحيرة .

قالت مريم قبل أن تتصرف مع زوجها :

- وفقك الله .. إلى ما فيه الخير والسداد.. إنه سميع مجيب.

ظهرت تباشير الحمل على (مريم)..

غزت زوجها حماسة .. تمنى لو كان له جناحان ليطير بهما من فرط السعادة ..

سألته فى سكون:

- ماذا ستسميه ؟

- إن جاء ولدا سميته (محمداً) لم أحب أحدا فى حياتى كما أحببت محمداً صلى الله عليه وسلم.

- وإن كانت بنتاً سأسميها (الزهراء).

نعم الاسم .. ثم صمت برهة ، وأضاف بصوت رقيق:

- سأعلمه كيف عاش الحبيب المصطفى ، وكيف تعامل مع الناس بالحب والرحمة والرأفة ، والحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف كان يعيش في بيته .. في مسجده .. وفي غزواته وسلمه ، ثم أتركه ليختار العمل الذي يناسبه .

ضحكت (مريم) من أعماقها .. ثم قالت:

- ياإلهي علمت طفلنا وكبرته، وجعلته يخرج إلى العمل وهو ما زال جنينا في بطني .. ما أروع هذا.

وتطلع (عبد الله) إلى ساعة يده .. ثم قال :

- اليوم الجمعة .. موعدنا لزيارة أحبائي النحل ، وحبيبي الشيخ مسعود، فهيا بنا ، وسوف نصطحب معنا (أم عبد الرحمن)،

- (وغلوم) أخي ؟.

- سوف يلحق بنا .. هكذا اتفقنا.

- لم يمنع (مريم) ثقل حملها عن أداء الفريضة ، وعبء الحياة ، والعمل في الجمعيات النسائية وفي البيت والمدرسة ، كما أنها تسهر على راحة زوجها في رضا كامل ، قال لها (عبد الله) يوما وهي تصلح من هندامه:

- إنك طاقة لا تنضب ، ولا تكل ، ولا تملّ ، إنك رمز للوفاء في زمن عَزّ فيه الوفاء. وكلما أثنى عليها زوجها ، زاد طموحها وهمتها .. همس لها قائلاً :- أيكون هذا هو الحب؟ فأجابت :- بلا شك، فأنا أفعل ذلك كله بدافع الحب ، فالحب الصادق ياحبيبي هو العطاء الصادق الأصيل ،

كما قلت ذلك من قبل ، وكما وعدتك وهأنذا أنفذ وعدى. عند خلايا النحل تذكر (عبد الله بابو) شيئا فضحك.

فسأله الشيخ مسعود :

– ما أضحكك ؟.

قال (عبد الله بابو) :

– تذكرت حادثة طريفة مع النحل ، وهى أن أحد المزارعين المجاورين لنا ربط حماره بجوار أحد مناحلنا فنهق الحمار بصوته المنكر ، ويبدو أن صوته المنكر لم يعجب النحل فرأيته وقد انقض عليه دفعة واحدة. ولدغة فى أرنبه أنفه وأذنيه وطرف عينيه ، ومنتصف رأسه عند مجمع الجمجمة ، وفوق المخ تماما .. مما سبب ألما للحمار مفاجئا فمات الحمار على الفور .

قهقه الجميع ، وقال (غلوم) وقد لحق بهم :

– كأن النحل على علم بتشريح جسم الحيوان ؟!

قال الشيخ مسعود :

– صدقت ، بل وعلى علم أيضا بتشريح جسم الإنسان ، استنادا إلى **قوله تعالى** (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ).

وسألته (أم عبد الرحمن) قائلة:

– معنى هذا أن النحل يزعجه الصوت المرتفع ؟.

قال الشيخ :

- مؤكد بدليل أنه لو سمع ذكر الله فإنه لا ينزعج بـل تهتـز مؤخرتـه ورأسه وكأنه يتمايل على النغمات الناعمة الهادئة المطمئنة.

قالت (مريم):

- وأنا لا أنسى ما حييت وكنت أقرأ يوما بعد صلاة الفجر (سورة النحل، وإذ بى أرى النحل وقد تجمع فوق زجاج النافذة المغلقـة لغرفتـى ولـم ينصرف إلا بعد أن إنتهيت من تلاوة السورة كاملة، وكان له طنين جميل وكأنه يردد السورة معى كما لمحته يهتز مع صوتى.. إنه مخلوق مبارك يسبح بحمد الله.

قال (عبد الله بابو):

- كان من مواقف النحل الجميل معى أنه لم يهاجمنى مطلقا بحميته حتى وأنا مجرد من اللباس الواقى ، وذلك عندما رآنى وأنا أكافح أعداءه وأقتل معه الزنابير، وأعتقد أنه كان يراقبنى فقدر موقفى ، واتخذنى صديقا وفيا له .. لدرجة أننى كنت أشبع فدائيته، فأمسك بالزنابير وألقيها إليه فيدخلها خليته لفترة من الزمن ثم يخرجها ميته ، ويطرحها خارج الخلية كعبـرة لغيره ضحكت أم (عبد الرحمن) وقالت :

- إن بين النحل إذن فتوات وأبطالا يتصدون الأعداء".

أضاف الشيخ مسعود قائلا:

ويمتاز بالوفاء لخليته يا أم عبد الرحمن ، فقد اضطررت لترك منحلـى مدة شهر تقريبا ، لبعض أمور التجـارة ، وذلـك قبـل وصـول ابننـا

(عبد الله بابو) ، وحين رجعت وجدت أنّ فراغ المنحل فوق الخلايا مزدحم بالزنابير بدلا من النحل وكانت قد افترست النحل ، والتهمت العسل ، لكنى وجدت خليه واحدة فقط فى حالة دفاع فريدة من نوعها إذ كان نصفها الداخلى به ما تبقى من النحل ، بينما النصف الأخر كله زنابير متلاصقة تجتاح الخلية ببطء، إذ كان القتال دائراً على أشده بطول الجبهة ، وكان النحل يدافع عن كل جزء بالخلية فى معركة غير متكافئة، وعز على أن أرى الشر المستطير منتصرا، وفكرت بسرعة فى نجدة النحل بأسرع وسيلة ، فأحضرت موقد غاز خاص باللحام كان بالمزرعة، وسلطت لهبه الشديد على القسم المحتل بالزنابير واحترق بعضه، وأسرع الباقون بالفرار لما شاهدوا النيران، لكن كانت دهشتى شديدة، حينما لم أر نحلة واحدة تركت خليتها برغم الحريق.. أليس هذا تشبثا بالوطن وحبا وولاء له ؟!.

ردد الجميع:

- سبحان الله .

قال الشيخ :- والنحلة يا أحبائى تموت بعد لسعة واحدة لتركها حميتها فى جسم الضحية ، ولكن الحمة نفسها يمكن أن تلسع مرة ، ومرتين بعد ذلك إذا نزعت باليد من المكان الملسوع ووضعت بعناية فى جسم المصاب بآلام الروماتيزم ، لشفى بإذن الله بعد عديد من الجلسات ، بإشراف طبيب مختص مؤمن ، وقد لاحظت أن لسعة النحلة أحيانا لا تسبب ألما

يذكر فى حالة إرغامها على اللسع فى موضع أختاره للعلاج ، سواء فى بدنى شخصيا ، أو أجسام غيرى من الذين يعالجون بالحمية من بعض الأمراض ، ولكن الثابت والمؤكد أن النحلة إذا لسعت أحدا بحريتها ، وبمعرفتها أثناء طيرانها ، فلابد من إنزال أشد الألم ، كما تنتقى الأماكن الحساسة التى يبلغ الألم فيها ذروته كما ذكرت ، وقد لاحظت أن النحل يعود إلى خلاياه قرب انتهاء النهار. قال (عبد الله) وهو يطوح رأسه يُمْنَةً ويسره فى عشق للنحل:

– أقسم بالله يا أحبائى ، أننى رأيت النحل وهو يطير فى الفضاء، وقد إتخذ تشكيلات بديعة على هيئة اسم الجلالة ، وقرأتها فإذا بها **(لا إله إلا الله).**

ضج الجميع بالتكبير .. **الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر.**

ابتسم الشيخ ثم أضاف وهم ينصرفون لصلاة الجمعة فقال:

– أثناء مرورى على الخلايا قديما فى وقت كثرت فيه الزنابير وإذ بى أرى شغالات النحل وقد اتخذت كلها مواقف الدفاع النظامية، وأحكمت خطوطها الدفاعية الحربية ضد هذا العدو الشرس ، بأن وقف النحل صفوفا متلاصقة على هيئة مثلثين متساويى الأضلاع بشكل رأس حربة ، كان أحدهما أفقيا ، قاعدته فتحة الخلية ، ورأسه على مطار الخلية ، والمثلث الآخر ، كانت قاعدته مشتركة أيضا مع فتحة الخلية، ورأسه على جدار الخلية متجها إلى أعلى، وأقبل أحد الزنابير المفترسة ، وحام حول الخلية لعدة مرات، وفجأة انقض عليهن محاولا خطف واحدة ، فتحفّزن جميعا

للإمساك به كلما اقترب منهن ، وتكررت هذه المحاولات من الطرفين لمدة أربع ساعات دون جدوى ، وفى النهاية يئس العدو فابتعد ..

إنه بلا شك فدائى منظم من الطراز الأول ، إنها المنزلة التى خصه الله بها(وأوحى ربك إلى النحل). والنحل يا أحبائي يكشف الغش ولا يتعامل معه:

قال الجميع فى دهشة :

– كيف ؟

قال الشيخ :

– لو وضع النحال شمع شغالات النحل الأساسى وخلطه بشمع البرافين الصناعى ، أو وضع براويز من الألومونيوم بدلا من الشمع فإن النحل يتركها ، ويلجأ إلى صنع أقراص شمعية جديدة نقية بمعرفته.

قالت أم عبد الرحمن فى ذهول:

– سبحان الله .

ورددت مريم فى خشوع **قول الله تعالى:**

– (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ)

قال الجميع فى تبتل :" **صدق الله العظيم**".

****

الأيام تمر والجنين فى بطن (مريم) يكبر ويكبر .. وكان يكبر معه شئ من الخوف والرهبة من المجهول فى نفسها ، وفى نفس زوجها (عبد الله

بابو)، الذى كان طبيب أمراض النساء والتوليد، يؤكـد علـى ضـرورة مداومتها عنده كل أسبوع بعد الشهر الخامس، كمـا كثـرت التحلـيلات والأشعة ، وقياس الضغط بين الحين والآخر، وكلما سأله زوجها وأخوها عن سر هذا الاهتمام الزائد .. كان يطمئنهما:

- لا تخافا .. ستمر الأزمة بسلام إن شاء الله .. ..

- لابد أن نكون على علم بكل ما يجرى .. نحن مؤمنون أيها الطبيب.

- ضغطها يرتفع .. وأخاف من آثـاره السـيئة .. كمـا أن التحاليـل، والأشعة أثبتت وجود ورم ليفى صغير حميد على الرحم مما قـد يسـبب نزيفا شديدا عند الوضع .. والله سبحانه هو المنجى..

كان هذا الكلام يضع دوائر، ودوائر فى فكر زوجها ، وفى فكر أخيهـا الذى أسر به إلى زوجه .. وكان الخوف ينسج بيوت العناكب فـى رأس زوجها .. يعشش فيها الخوف والرهبة .. إلا أن الرجاء ، والأمل كانـا يغزوان فكره وقلبه على استحياء .. وتصنع الفرح والسعادة كان يرسمان على وجهه ضحكات كان يصدقها ، وهو يحاول أن يبعثهـا فـى نفـس (مريم) زوجته .. ..

هذه الظروف فرضت عليه أن يكون ملازما لها معظم الوقت، فكان بعـد العودة من عمله ، يذهب ليقضى بقيه النهار ، وكثيرا من الليل بجانبهـا فى المستشفى مع بداية الشهر الأخير من الحمل ، يأكل معها ويسـقيها، .. ويتجاذبان معا أطراف الأحاديث الحلـوة الطيبـة المرحـة

الفرحة.. ويرسم أمامها لوحات الأمل والأمانى الخضراء فى حياة أسرية سعيدة .. .. وفى يوم من الأيام قالت مريم لزوجها:

– ألم تزر ابنة عمك (رولاتا) طوال الفترة الماضية يا عبد الله ؟!

– ما كنت أزور امرأة كافرة متآمرة .. لقد ألقيت بها فى بحيرة النسيان..

– من أجل خاطرى زرها ياعبد الله .. فلقد رأيت فى عينيها بصيصا من نور الهداية .. وأنا مقبلة على الوضع .. عسى الله أن ييسر لى ويأخذ بيدى .. والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .. ..

– فى كثير من الأحيان أمقتها ، ولا أطيق رؤيتها ولا سيرتها أقول لك إنها كافرة .. و .. وفاجرة ..

– " لا يضيركم من ضل إذا اهتديتم ".. إذهب إليها ياحبيبى، ولا تنس أن الإيمان يغزو القلب فى لحظة قدسية علوية تنزل من علياء السماء إلى القلوب الصافية الصادقة الرغبة فى الإيمان "

هل نسيت ما جرى لك ..؟! هل نسيت فضل الله عليك ؟!.

قبلها فى جبينها .. وطبع قبلة شوق على خديها .. وغطاها وأطفأ نور الغرفة، وترك لها مصباحا كهربائيا خافتا.. واطمأن إلى عدم احتياجها لأى شئ .. أى شئ .. ثم غادر الغرفة ، وهو يدعو الله بكل أحاسيسه أن يغنمها السلامة .. وأن تضع طفلها فى أمان وسلام ..

وجدت (رولاتا) التعويض والعزاء فى العلم والمعرفة عن الواقع المعاش داخل محبسها ، وتفاعلت مع ما تعلمته من ديننا الحنيف إلى حد ما ،

فنأى بها كثيرا عن النظرة الضيقة المتعصبة لملتها ، وكانت كلما فرغت من كتاب ، طلبت المزيد.. وكان مأمور السجن يمدها بكل ما تريد من المكتبة العامرة بأمهات الكتب ، وكتابات كبار العلماء ..

ذهب ابن عمها (عبد الله بابو) لزيارتها تنفيذا لوصية زوجته الحبيبة (مريم).. ودار بينهما حوار طويل ..

قالت له ضمن ما قالت :

– لماذا أخفى الله موعد يوم القيامة ؟.

فأجاب على الفور :

– **بسم الله الرحمن الرحيم**(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا) **وقال تعالى** يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى) **صدق الله العظيم.**

ثم راح يشرح لها الأيات بأسلوب سهل مبسط فقال لها:

– أخفى الله عنا موعد يوم الساعة لكى نعمل ونتسابق إلى المغفرة، ونخشاه بالغيب، **قال تعالى**(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

وقال تعالى:(سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) وقد عرفنا الله بيوم القيامة، وخصص لها سورة باسمها هى سورة (القيامة)، **فقال تعالى** (يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ)

وقال تعالى عن هول يوم القيامة(إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ) **صدق الله العظيم**

عادت (رولاتا) فسألته قائلة :- لماذا يعذب الله الكافرين ، وكان بإمكانه سبحانه أن يجعلهم مؤمنين ؟.

قال (عبد الله) بسعة صدر :- إن الله وهبنا العقل ثم عرفنا بذاته سبحانه، ثم أخبرنا أن نعبده بالغيب وبكامل إرادتنا نحن الإنس والجن،

فقال تعالى:(وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ)

وقال تعالى : (إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا)

قالت (رولاتا) :- لماذا خلق الله الموت والحياة ؟.

- **قال تعالى** : (تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ)

-أحقا يحى العظام وهى رميم ؟ وكيف ؟

- (قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ)

وقال تعالى(﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾)

اغرورقت عيناها بالدموع .. ثم قالت فى شئ من التوتر:

- الحب مات ..

رفع عبد الله يده محتجا وقال لها:

- الحب لا يموت (يارولاتا) لأنه من نور الله، فالشمس تحنو على الكائنات، والأم تضم وليدها فى حنان، وحتى العصافير تزقق فراخها.. إن أصل البقاء ، واستمرار الحياة هو الحب يا ابنة العم.

تطلعت (رولاتا) إلى السجن فتململت وقالت:

- الحرية ماتت .

ابتسم فى وقار ثم قال لها :

- بل الحب موجود ، والحقد موجود ، وقتلة الحرية أيضا موجودون، لكن القيم العليا باقية ما بقى الإنسان على وجه الأرض.

قالت فى توتر أشد:

- فلماذا إذن السجون تملأ ربوع الأرض .. والحروب الظالمة تجتاح بقاعا كثيرة من العالم ، وقد تطورت ألاتها تطورا مريعا.. ؟.

- لكن القلوب تخفق بالحب، وتهتف بالحرية.

- صرت مثاليا يا (استيلاس) ، أما أنا فالخوف يلاحقنى وقهر الكاهن يؤرقنى .. إنه حتما سيقتلنى إن آجلا أو عاجلا.

- إذا آمنت بالله .. فسوف يرعاك ، **قال تعالى فى كتابه العزيز** (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ)

وكاد يطير من فرط السعادة حينما سمعها تردد:

- " **صدق الله العظيم** "

فهتف من أعماقه: الله أكبر.. هذا بداية الإيمان أن اعترفت بوجود الإله الأعظم .. فقالت:

- أعترف أن الله هو خالق السماوات والأرض.

قال لها فى حماس : فلماذا تعبدين من دون الله ما لا يملك نفعا ولا ضرا؟!

قالت عاجزة: الإرث القديم فى دمى .. وملتنا تتغلب علىّ.

قال (عبد الله بابو) فى غير يأس:

- " **قال تعالى** (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ)

إنطلق (عبد الله بابو) إلى المستشفى حيث ترك امرأته هناك فـــى حالـــة وضع .. وترك خلفه (رولاتـــا) بعـــد أن عصـــرته بأســـئلتها يـــداورها وتداوره.. تقسو عليه حينا ، وترحمه أحيانا، ترسل عليه الصواعق ، ثـــم تبعث إليه ببصيص من نور دافئ، وتركها فى مفترق الطرق ، وانطلـــق بسيارته الأنيقة .. .. غامت السماء ، وأسدلت نقابا على وجهها الصبوح .. وكلما اقترب من مستشفى دبى لمعت العربة تحت غيث منهمر .. كل السيارات تسرع ، تريد أن تبلغ مأربها ، قبل أن يشتد المطر .. أتراهـــا وضعت ؟ آه (مريم) أسأل الله لك العافيـــة .. إنهـــا إنســـانة أخلصـــت فخضعت، وأحبت، فكرهت أن تتمرد .. لك الله يا حبيبتي .. كانت تتـــألم بشدة، وتذكر مثلا هنديا يقول : المرآة الشريفة .. شـــريفة بنفســـها ، لا تضربها حتى بزهرة .. ومريم أرق من كل الزهور.. ..

ركن العربة .. وأسرع يهرول للاطمئنان على سلامة امرأته، والترحيب بضيفه الجديد ..

رأى أول ما رأى (محمد غلوم) يجر قدميه جرا ، وعلى صفحة وجهـــه اضطراب ، ثم احتضنه وانفجر بالبكاء .. وعبد الله ثابت لا يتحرك، أثقل الحزن رجليه، وهو يسمع (غلوم) يردد من بين شهقاته:

– ماتت (مريم) بعد أن وضعت محمدا.

- آه .. آه .. آه ياربـ السماوات والأرض رحماك " لم يعد لى فى الدنيا مكان .. آه أيتها النفس التى كسرها الدهر . هرول الشيخ مسـعود إليـه ومن حوله رفقاء المسجد .. آوى إلى صدورهم،

قال غلوم من بين دموعة :- أقسم يا أخى لو تطلعت إلى وجهها لسعدت، وجره جرا إليها فرآها مبتسمة راضية ،كأنها تنام فى واحة أمن وسلام .. فنطق فى ذهول ، اكشفوا عليها أنها لم تمت .. أنها تبتسم .. وتضحك .. لم تمت زاد نحيب (غلوم) ، وقال أحد رفقاء المسجد بعد أن أسدل غلـوم الساتر على وجه أخته.

- الشهداء لا يموتون يا صاحبى .. وامرأتك ماتت شهيدة

- لكنها تبتسم ..

قال الشيخ مسعود وقد خرجا إليه أمام الحجرة:

- (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ)

وردد آخر :

- (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

ونقلت مريم حيث غسلوها وصلوا عليها .. وكـانوا جميعـا يـرددون :

" إنا لله وإنا إليه راجعون "..

وقال الشيخ : أثناء دفن العزيزة الغالية :

- تلك هى سنة الحياة يا ولدى.

ثم قال:**بسم الله الرحمن الرحيم** :(يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى)

ثم أخذوا فى الدعاء لها.. ..

****

لم تستطع أم عبد الرحمن زوجة محمد غلوم أن تفعل شيئا لعبد الله بابو، الذى حطمته المصيبة ، وخلفته من ورائها صامتا صمت القبور لا ينطق بكلمة .. حتى عيناه ضنت عليه بالدموع .. فما كانت تتحرر من عينيه ، إلا حينما ينظر إلى طفله الوليد اليتيم الجائع ، ويرى عينيه زائغتين حواليه كأنهما تبحثان عن الحياة .. عن صدر أمه الفقيدة ، وراحت أم عبد الرحمن ، أمام هذا المشهد المأساوى تتلعثم ببضع كلمات تسأله فيها الإيمان ، والتسليم .. قالت لعبد الله بابو :- إصبر واسترجع والعوض عند الله ، أما ولدك ، فسأرضعه مع إبنى عبد الرحمن ، وسأربيه معه.

وبدأت ترضعه مع ولدها الذى أوشك على الفطام .. إنه يكبره بعامين إلا قليلا ..

كانت مصيبة عبد الله كبيرة ضخمة ، جعلت رد الفعل عنده هو الصمت لكنه كان يردد فى ايمان و استسلام لقضاء الله .

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت أم عبد الرحمن ربة بيت لا تعمل ، ولم تنل من العلـــم إلا قلـــيلا، ولكنها حفظت القرآن فى الصغر فى إحدى مكاتب (باكســتان) .. طيبــة نقية السريرة ، قالت لعبد الله بابو :- لا تحمل هما .. كان لى ولد فصارا إثنين. ظل لائذا بالصمت .. عيناه تبرقان بفيض من الآلام المكبوتة ، كل من كان يراه يجول بخاطره أنه بلغ الثمانين لا الثلاثين من العمر ..

أكانت السماء تبكى معه أمس ، بعد أن ظلت أياما لا تبكى ؟!

همس له أحد اصدقاء العمل مواسيا :- من يستطيع أن يعيش عمره فى فرح دائم لا تغيم فى سمائه سحابة من حزن ؟ لا أحد ، وقال آخر :- هذا ناموس الكون .. هو للإنسان كما هو للحيوان والنبات والأرض والسماوات (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ)

حمل الرضيع .. نظر إليه بعينين مريضتين ، وقلبـــه يعتصـــر ألمـــا .. ضمه.. فتح الطفل عينيه .. فى عينيه ألم مر .. أشبه بالعتاب ، والصفاء معا.. كان كأنه يحلم .. أيعيش مع الملائكة ؟

تذكر يتمه فى السنين الخوالى ، والحرمان .. عاش يتيما منكسرا، لكن أمه ماتت وعمره خمسة أعوام ، أما هذا المسكين فماتت أمه غداة مولده.. آه ولدى .. أى حياة تنتظرك ياحبيبى ؟!

شملته رعشة حينما أعاد النظر إلى وجهه الجميل الحزين .. الإنعام فى عينيه يملؤه رعبا ، أيتطلع إلى السماء التى فيها أمه ؟

طافت بوجهه سحابة .. وطفرت من عينيه دموع.. رغما عنه..

أى نعمة حرمت منها ياحبيبى ؟ الأمومة .. آه من حرمانها . كم هى نعمة تحرسنا من الشقاء ، وتلمع فى السماء مع الليل كالنجوم التى تعطى الضال نعمة الهدى .. وتمسح على صدر الحزين بالسلوان.

أعاد الطفل إلى أحضان زوجة خاله .. وعاد إلى الدار .. كان يسير فيها مطأطئ الرأس .. حتى دموعه التى تحن عليه أحيانا فتنهمر لم يكن يستطيع أن يجففها .. ودخل الدار ، لكن أى دار تلك التى دخلها ؟! إنها خالية خاوية على عروشها .. أخذ يتسمع ما بين الأركان ، والجدران ، خيل إليه أنه يسمعها بصوتها المغرد وهى تقول له :- هذا هو طفلك الجميل محمد انظر إلي عينيه !! انظر إلى فمه .. إلى أنفه .. إلى أصابعه .. إنه بضعة منك ياحبيبى .. تخيلها وهى تحمله إليه ، وهو يميل عليها يقبلها وتقبله .. وكاد يسمعها مرة أخرى وهى تقول :- ها قد عمر بيتنا .. لقد صرنا ثلاثة وسيأخذنى منك هذا الفتى الجميل .. كاد الصوت يشده إلى الجنون .. فزع .. سارهنا وهناك يسأل الجماد لعله

يتكلم .. يناجيها لعلها تجيب تطلع إلى الشوارع من النافذة .. العالم لـم يتوقف .. الجميع يسـيرون .. يتحركـون .. يمرحـون .. يـأكلون .. والشمس لن تنطفئ ، والقمر لن يغيب .. تطلع إلى فستان العرس.. آه ما أشقانى .. لو لم يعصمنى الإيمان لجننت .. أستغفرك ربى وأتوب إليك لا أجد ملجأ إلا أن أركن إليك .. أسألك فى الفاجعة الصبر وفـى النكبـة العزاء .. (رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) إنا لله وإنا إليه راجعون.

أعلنت إحدى المؤسسات الإسلامية الكبرى عن مسـابقة كبـرى للـدعاة الموهوبين المتميزين الحافظين للقرآن ، والذين يتوافر لهم التحدث بأكثر من لغة أجنبية،

فوجد "عبد الله بابو" الرغبة الشديدة فى العمل بالدعوة إلى الإسـلام فـى الخارج ، فرشحته دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية التـى يعمـل بهـا مترجما للإشتراك فى تلك المسابقة الكبرى – فشـروط المسـابقة متـوفرة لديه.. .. .. وإنه الآن يتقن العربية والإنجليزية والهندية .. كما أنـه حـافظ للقرآن الكريم ويتقن شرح معانية إلى حد كبير .. .. وفوق هذا كلـه : أنـه يحسن عرض الإسلام فى لباقة وفهم ، ويستطيع الرد على إتهامـات أعـداء الإسلام باليسر والحجة والتوضيح والبيان والشرح الكافى....

إن كثيراً من الناس فى الغرب لا يعلمون حقائق كثيرة عن الإسلام وإنـه مؤمن ومتحمس لإعادة عرض الإسلام على الأخرين بما يتناسـب مـع

معطيات العصر ، وثقافة الأخرين ومعلوماتهم عن الإسلام فى ظل هـذه الظروف الراهنة التي تكالبت فيها قوى البغى والظلـم علـى الإسـلام والمسلمين واتهمت الإسلام ظلما وعدوانا ..

ومرت الأيام .. واستعد (عبد الله بابو) للمسابقة ، فنجح بكفاءة واعتبروه من الدعاة الأكفاء لما لديه من ثروة لغوية وثقافية وفكرية ودينية ، كمـا وجدوا لديه معرفة لطبيعة العقلية الغربية وميولها وما يؤثر فيها . كمـا اختبروه وسمعوا منه فوجدوه يحسن عرض الإسلام عرضا شيقا يجـذب إليه السامع ويقنعه بما لديه من فكر ويصحح الأفكـار المغلوطـة عـن الإسلام .. كما وجدوا لديه فكرة واسعة عن الـرؤى المؤيـدة للإسـلام والمعارضة له .. إن لديه العلاج والتصحيح وحتما سيصل إلى الهـدف المقصود منه ..

وظل ينتظر موعد السفر للدعوة إلى الله متلهفا ..

قضت (رولاتا) مدة العقوبة .. ورحلتها السلطة إلى موطنها الهند بمجرد أن تمت إجراءات الإفراج عنها .. ولم يتمكن (عبد الله) من زيارتها فـى الآونة الأخيرة وذلك لانشغالاته المستجدة .. وانقطعت أخبارها عنه مـن بعد ومن قبل أن تغادر الإمارات .. بمدة طويلة .. وفى أحد الأيام وأثناء عودته من العمل ، مر على صندوق البريد وإذ بـه يجـد خطابـا مـن (رولاتا)..

بسرعة استقل سيارته ، وعاد إلى شقته ، وفضّه وأخذ يقرأ ما جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

عزيزى (عبد الله)..

سلام الله عليك ورحمته وبركاته .. وبعد ..

ألمنى مصابك الفادح فى وفاة (مريم) الطيبة .. تغمدها الله برحمته وأدخلها فسيح جناته ، وألهمك الصبر ، والسلوان .. وأعانك الله على رعاية قرة عينك ، وبارك الله لك فيه ، وأنبته نباتا حسنا .. إنه سميع مجيب الدعاء ..

ومعذرة لتأخرى فى العزاء ، فقد كنت مشغولة بالسير فى طريق الإيمان فاعتنقت هذا الدين الشريف ودعوت أسرتى إليه ووفقنى الله ، فاعتنقه أبى وأمى ، وبعض إخوتى .. وصار اسم أبى (زيدا) وأمى (عائشة) أما إخوتى الكبار فصارت أسماؤهم بالتتابع أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى .. أما الباقى فأطفال لا يدركون.. وقد تحجبت أنا وأمى عائشة .. وكلنا الآن نصلى ، ونصوم ، ونستغفر الله ..

وأعمل الأن مرشدة سياحية بمرتب شهرى متواضع ، وإعانتك الشهرية لأبى التى تصله بانتظام ، تغطى متطلبات حياتنا اليومية .. جزاك الله عنا خير الجزاء ..

ولى عندك أمنيتان أرجو أن يتحققا على يديك وهما :

١- أن أكون بجانبك فى الدعوة إلى الله .

٢- أن تصحبنى فى موسم الحج القادم إلى بيت الله الحرام لأداء الفريضة شريطة أن يكون برفقتنا طفلنا الحبيب (محمد) لكى أرعاه معك فى رحلتنا المقدسة .

وبالطبع سأحتاج إلى محرم شرعى .. ما رأيك ؟

أأصلح لك الآن شريكة عمرك بعد أن آمنت عن يقين ؟

وفى النهاية .. لن أنسى ما حييت أنك كنت السبب فى هدايتى إلى الدين الحنيف..

ما أعجب الأقدار "

المحبة إلى الأبد

فاطمة الزهراء

(رولاتا) سابقا

تابع ما بين السطور فى حذر .. لكن وجهه كان ينطق بشرا .. ووجد نفسه يردد رغما عنه أبياتا من الشعر كان يحفظها قديما من أوراق الماضي تقول :

الشوق بعدك جمر فيه أستعر

لا تحسبى البعد ينسينى وأصطبر

أهفو إليك وأنت مصاحبتى

فكيف فى وحدتى والقلب منفطر

ما زال فى مسمعى رنات ضحكتك

ما زال فى ناظرى وجه هو القمــر

مازال طيفك فـــى عينـــى أهدهـــده

سميرى الليل والأشــواق والســـهر

زادى ســـلافة ذكـــرى لا تفـــارقنى

فيها الدواء وفيها الدفـء ينتشــــر ..

يانبضة فى رفيـــف القلـــب تمنحـــه

عذب الحيـــاة فـــلا هـــم ولا كـــدر

يانســـمة فـــى شـــفاه النـــور آلقـــة

فيها الجمال ومنها تشـــرق الـــدرر

ياروضة فى رمال العمـــر مزهـــرة

فيها الأمان فلا خـــوف ولا غـــدر

يانغمــــــــة تنتشـــــــى برقتهـــــــا

قيثـــارة الحـــب تشـــدوها وتفتخـــر

ضاعت أمانى فى تيـــه الفـــراق ومـــن

ضاعت أمانيـــه لا يهنـــا ولا يقـــرُ

وعاش أبعاد ما طرحته ابنة عمه فى الرسالة .. وقد أفاق أهـــى كلمـــات هادرة من القلب .. أم سهام تصوبها فى ظلمة ليله الحائر ؟

حديثها لا شك هز أعماقة .. وأدمى جرحه الغائر وخشى أن ينفرد برأيه، فيضل الطريق .. فأسرع بالرسالة إلى شيخه .. مرفأ أمنـــه .. فقرأهـــا بتمعن،

وسأله عبد الله :

– ما رأيك ؟

هز رأسه يمنة ويسرة فرحاً ثم قال:

(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

(أى بنى .. لقد وفقك الله إلى هداية ابنة عمك إلى نور الإسلام) وهـــذا مؤشر عظيم يدل على نجاحك فى الدعوة إلى الله فأبشر

– وهى أتراها حسنة الإسلام ؟.

واضح وجلى أن الإسلام صهرها، وطهرها من كل الشوائب.

– والماضى الأليم يا شيخنا؟.

– قلنا من قبل : الإسلام يجب ما قبله.

ثم تمتم الشيخ : إنها تحبك بصدق يابنى .. فلا تتردد ..

– أأرسل لها خطابا بالموافقة ؟

بل سافر إليها ومعك ابنك.. خير البر عاجله.

– والدعوة إلى الله يا سيدى؟

فى موطنك الهند أولا

إبدأ .. واستعد على بركة الله ..

وقبل أن ينصرف من المزرعة ، هرول إلى مناحل النحل ليودعهم ، إنهم أحباؤه الأطهار .. وهل ينسى أنهم كانوا السبب الأول فى هدايته إلى نور الله ؟؟ ..

فى بيته تذكر (مريم) فانهمرت دموعه،

وأنشد يقول:

هــــلا غفـــرت ؟ فــإنى ضــــارع نـــدم

أمسيت بعـــدك فـــى الأحـــزان مؤتســـر

لا الليل يطـــوي همـــومى فـــى غلائلـــه

ولا الـــدموع عـــن الأهـــداب تنحســـر

أصـــبحت (يـــامريم) قصـــيداً بـــلا أمـــل

كطالـــب الـــنجم ، والمرقـــى لـــه عســـرُ

مرت الأيام سريعة خاطفة .. وما أسرع مرور الأيام .. كانـــت تمتلـــئ بالمرارة والحزن تارة .. وبالتسلى ، والتسرية وسط الأصدقاء ، والإخوة فى الله تارة أخرى ، وبالعمل الشاق الذى لا يعطى فرصة للإنسان حتى لكى يخلو إلى نفسه وأحزانه .. كان (عبد الله) فى وسط أحزانه وبكائياته

وعمله الشاق ، لا يجد فى طريقه ما يعطيه البسمة وإنشراح الصـــدر إلا شيئان:

وجه وليده "محمد" وآيات القرآن الكريم تطل بنورها فى عينيـــه ، كـــان محمد وهو نائم على ظهره .. يرفع قدميه الصغيرتين إلى أعلى، ويحرك يديه يضرب بهما على وجه أبيه فى رقة، ووداعة ، ويضحك فى وجهـــه ضحكة تمسح أحزان العمر كله ، وكانت له عينان ما أبدع جمالهمـــا .. كبحيرتين زرقاوين صافيتين تذوب فيهما كل الآلام التـــى عذبتـــه فـــى حياته.. وما كان يكدر صفوه إلا أن يراه يبكى.. لهذا كان يبذل قصـــارى جهده ، هو وخال الطفل ، وزوجة خاله، وكل من حوله ليجعلـــوه دائمـــا ضاحكا .. مسترضيا .. سعيدا .. وظل يكبر ويكبر مع الأيام حتى مرت سنوات خمس كبر فيها ودغدغ عواطف أبيه بكلماته المكسرة الضاحكة.. وجمله الطريفة ، والقفشات ، والنكات التى تصدر عنه دون قصد ، دون معرفة بإلهام الله عز وجل الذى يجعل الصغار قرة عين للأبـــوين ومـــن حولهما .. وسلوى وعزاء ورحمة ورضا ودواء وشفاء للأب المكلوم من أمثال (عبد الله بابو).. .. وكبر (محمد) أصبح عمره خمس سنوات .. أحلى سنوات الطفولة ، أصبح واحة الأمان والسلام ، والسلوى لوالده .. ..

أما آيات القرآن الكريم ، فكان النور يتسلل من بينها خيوطا فضية تنسج ستائر مخملية ناعمة .. رائقة تحول بينه ، وبين بحيرة الأحزان الراكدة..

إن الله لا ينسى عباده أبداً(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)

وهو الذى يتولى عباده المتقين

بدا (غلوم) كمحارب أسلم سلاحه .. ولكنه قال (لعبد الله بابو)

- أرجو لك حياة خيرا من حياتك الماضية ..

تمتم (عبد الله) بصوت مؤثر :

- ستظل (مريم) بخاطرى ما حييت .

قالت أم عبد الرحمن وهى تبدل (لمحمد) ملابسه:

- إن الأيام تطوى كل شئ ، وتمسح عن الصدر كل النكبات.

وأضاف (غلوم):

- وما من شئ يا أخى يتضاءل مع الأيام مثل الحزن والمصيبة الفادحة..

إن النسيان من نعم الله علينا .

ثم احتضن محمداً وضمه بقوة ، وقال له .. كن فى عون أبيك لقد كبرت وصرت رجلا محترما.

ضحك الصغير وقال:

- حاضر ياخالى .، ثم احتضن ابن خاله وأخاه فى الرضاعة ، وبكت أم عبد الرحمن وقالت :- يعز على فراقكما.

قال عبد الله :- الإمارات صارت وطنى ولن أستطيع الابتعاد عنه لفتـــرة طويلة.

وبروح طيبة .. وقلب رؤوم ، خلصت أم عبد الرحمن سلسلة ذهبية مـــن رقبتها بها مصحف كبير ، وقالت لعبد الله بابو قبـــل أن ينصـــرف إلـــى المطار:

- إنه هدية إلى فاطمة الزهراء.

فأخذه وقبله .. ثم شكرها.

وفى ساحة مطار (دبى) الدولى ناول (غلوم) مفاتيح سيارته وقال له :

- حولها إلى (تاكسى) .

- أوافق شريطة أن يكون الربح بيننا مناصفة.

- بل أنا الثلث ، وأنت الثلثان .. هذا عدل .. وعهدت فيك ذلك.

فوافق (غلوم) ممتنا وقال : على بركة الله.

وفوجئ (عبد الله بابو) برفقاء المسجد يلتفون حوله ، ليكونوا فى وداعه..

وفى وسط الرفاق شعر بيد حانيه تربت على كتفه وجاءه صوت الشـــيخ مسعود نديا خاشعا :

- هيا يا بنى لقد حان الرحيل..

قبل يديه .. ثم همس قائلا :

- لا تنسى أن تهدى تحياتى إلى الملكة والحاشية نيابة عنى كل صباح.

- أعدك بذلك.

ثم لوح بيديه إلى الأحباء ، وكذلك ابنه الذى كان يسير بجانبه .. وقــال لهم(عبد الله بابو).

- لا إله إلا الله .

فرددوا جميعا : **محمد رسول الله ..**

٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٣ هـ　　　　**تمت بعون الله تعالى ..**

الموافق أول مارس ٢٠٠٣م

كريمة شاهين

تقديم

بقلم : نفيسة شاهين – وكيل وزارة الإعلام.

حينما دعتنى الروائية المتميزة الأستاذة كريمة شاهين – وهى أختى الكبرى– لقراءة قصتها "الملكة" .. كنت بأمانة شديدة – ولإنشغالى الشديد بكتاباتى الخاصة كنت أنوى قراءتها قراءة سريعة غير متأنية قراءة إلمام سريع بأفكارها.. وفتحت الصفحة الأولى لألم بأطراف شخصياتها ثم أطوى الصفحات على عجل بعد ذلك . وإذا بى أجدنى مشدودة بكل حواسى وتفكيرى إلى كل كلمة وكل سطر وكل فكرة منها..، فلم أترك كلمة ولا حرفا إلا قرأته بإمعان .. فقد كانت القصة متوافرا فيها كل عناصر القصة الناجحة من الحبكة القصصية المحكمة ومن عنصر التشويق الذى يشدك من أول كلمة .. ومن الأسلوب السهل الجميل الذى لا يخلو من الخيال الثرى .. والتعبيرات الجميلة .. وهى إلى جانب ذلك كله .. تقدم له بين الحين والحين بعض الأبيات الشعرية .. بل والقصائد التى تقدم لنا شاعرة حساسة فياضة المشاعر .. رقيقة أشد الرقة .. تحسن تقديم هذا الشعر الجميل فى المكان والمقام اللذين يخدمان الموقف الذى تعرضه .. خاصة ما كان ينكأ جراح المحب الوله : "استيلاس" ويحرك عواطفه التى كانت قد خمدت– نحو حبيبته (رولاتا) فيجد نفسه – بعد أن سمعها تغنى شيئا من أغنية الحب التى كانا يغنيانها معاً – فيجد نفسه دون أن يشعر يغنى ويكمل أبيات الغناء العاطفى

الرقيق فيحرك الساكن من حبه لها .. ويهيج كامن الأشواق فى نفسه .. فأنت تكشف أيها القارئ شاعرة رقيقة الحس .. بديعة التعبير .. مرهفة المشاعر .. تملأ قلب القارئ بمشاعر الحب النبيل الراقى .. الذى يرتقى به دائما إلى فوق .. ولا ينزل به أبدا إلى أسفل ولو للحظة واحدة ... ...

والقصة التى بين أيدينا "الملكة" كما حكت لى الأديبة كريمة شاهين.. الذى حركها لكتابتها ، ودفعها دفعا إليها ... الملكة المتوجة على عرشها .. (ملكة النحل) !! فقد استولت مملكة النحل – بأعضائها والأعمال العجيبة التى هى وحى من الله تعالى كما ذكر القرآن العظيم :" وأوحى ربك إلى النحل"– استولت على عقلها وفكرها وموهبتها وملكاتها بكل ما رأته منها وما شهدته وما درسته ، جعلها تقرر كتابة هذه القصة الممتازة .. ، فالقصة تنتمى فى بعض توجهاتها إلى القصص العلمى .. وفى البعض الأخر أو فى معظمها إلى الأدب الإسلامى .. ، ولهذا كما ذكرت للقارئ فى أول حديثى .. تخيلت أننى بمثابة قصة ربما يسيطر عليها الملل والسأم أو الموعظة الجافة الجامدة من ناحية أو أخرى .. فوجدت موهبتها الثرية.. تقدم كل ما عرفته عن مملكة النحل .. وكل المعانى الإيمانية العميقة فى قالب قصصى رائع .. وتذييه إذابة دقيقة محكمة فى هذا القالب الشائق الجذاب الذى يجعلك تلتهم القصة التهاما .. وتطعم كل ما أرادت أن تطعمك إياه .. دون أدنى إعتراض !! إنها فى هذه القصة الجميلة كالأم الرؤوم .. وربة البيت المحترفة التى تريد أن تطعم صغارها كل عناصر الغذاء المفيد .. فبدلا من تقديمه عاريا

يقصيهم عنه .. تتفنن فى إذابته داخل مواد جاذبة ومحببة" وفى قالب مغر يجعلهم يقبلون عليه ويطلبونه ويلتهمونه فى سعادة وحب .. وإقبال شديد عليه ..، وهى فى قصتها تطوف بنا بين الهند وباكستان ودولة الإمارات وبخاصة إمارة دبى ورأس الخيمة وربما يسأل القارئ .. عن السر فـــى هذه الأماكن التى جعلت أبطال قصتها يتحركون فيها .. فأجيبه بأن البيئة التى عاش فيها الكاتب تسيطر عليه .. وتحتل الجزء الأكبر من تفكيـــره وتجعله دائم التردد عليها بكتاباته وقلمه .. وتجعله مــوطن شخوصـــه ذهابا وإيابا إليه وتحركا فى داخله ....، فقد عاشت الأســـاتذة : كريمـــة شاهين كاتبة القصة شرخ شبابها فى دبى مع زوجهـــا الأديـــب الكبيـــر المعروف الدكتور نجيب الكيلانى ، وأولادها ... ، فبعد أن تزوجت بـــه بحوالى عشر سنوات .. سافرت معه إلى هناك مع طفلتها عزة وطفليهـــا حسام وجلال .. وهناك من الله عليهما بآخر أولادهما "محمـــود" وظلـــوا هناك أسرة متماسكة سعيدة .. حتى عادوا إلى الوطن الحبيب مصر بعـــد حوالى ربع قرن من الزمان عاشوا فيه منخرطين فى هذا المجتمع الـــذى يضم الكثير من الهنود والباكستانيين وغيرهم من الأجناس .. إلى جانـــب أهل الوطن أنفسهم ...، ولهذا تجد أهم الأشخاص فى قصتها من الهنـــد وباكستان والإمارات ، ومن مملكة النحل التى تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون .. فى كل مكان فى أرض الله ....

ومن الأمور التى يجب أن أطلع القارئ عليها إجابة لسؤال ربما يسأله : ما الدافع الذى يدفع الكاتبة للاهتمام بالأدب الإسلامى وجعله من أهدافها الحياتية الهامة؟! فأجيبه بكثير من التركيز والاختصار بما يلى :

أولا : دافع عام ينتمى إلى الأمة كلها وثانيا : دافع خاص ينتمى إلى الأسرة التى نشأنا فيها أنا وشقيقتى وبقية إخوتى وأخواتى ..

أما الدافع العام : فنحن فى أمس الحاجة إلى تسخير كل أفكارنا وثقافتنا وعلمنا وأقلامنا وأحلامنا ومشاعرنا .. والخواطر التى تخطر على قلوبنا .. وكل حركة وسكون وذهاب وإياب لنا ... وأدواتنا وآلياتنا كلها ... لتفتيق الأذهان والأفكار على الإسلام وقضاياه

وعلى نوره وبهائه وخيره الذى لو عم الدنيا كلها ... لجعلها جنة وارفة الظلال ... بهية المساكن والبنيان إنه نعمة الله الكبرى على الخلق والناس أجمعين ...، وكل المسلمين مطالبون بتسخير ما أعطاهم الله ... من فكر أو مال أو علم ... لخدمة قضايا الإسلام ولتمكين المسلمين منه ومن قواعده وفرائضه ... ثم لتعريف العالم به وتصحيح مفاهيمه عندهم خاصة فى هذه الآونة التى انقض فيها العالم على الإسلام وديار المسلمين لتحطيمهم وإبادتهم .. وإذابتهم فى الشخصية الطفيلية الغربية التى يريدون فرضها علينا وما هم بمستطيعين أبدا إن شاء الله .. حتى ولو بدا لهم لفترة أنهم تمكنوا وسيطروا...

أما الدافع الخاص : فهو ناشئ من انتمائنا لأسرة معظم رجالها من علماء الأزهر الأفذاذ وعلى رأسهم والدى الشيخ محمود شاهين ..

الذى حصل من الأزهر على إجازة العالمية: فى الثلاثينيات من القـــرن الماضى ... وفتحنا أعيننا على مكتبته التى كانت حافلة بأمهـــات كتـــب التراث الإسلامى الذى تضرب جذورها فـــى أعمـــاق الأرض وتســـمق أغصانها إلى ذرى السماوات ... ويكفى أن تعرف أيها القارئ أنه أقرأنى وإخوتى ونحن لا نزال أطفالا فى مراحل التعليم الأولى .. كتبـــا يعجـــز بعض دارسى الدراسات العليا عن قراءتها واستيعابها .. فلقـــد أطلعنـــا ونحن أطفالا فى المرحلة الإعدادية " إحياء علوم الدين" للإمام الكبير أبى حامد الغزالى .. وحياة محمد للكاتب الفذ الدكتور محمد حسين هيكـــل .. ومعظم كتب التفاسير والسيرة والسنة .. كما كـــان حرصـــه أشـــد مـــن حرصه على حياته فى أن يحفظنا القرآن الكريم ويعلمنا تجويـــده.. كمـــا فعل به أبواه اللذان أسقياه القرآن ... وكتباه على صفحات قلبه الرهيـــف الرقيق الذى كان كقلوب الطير ... جزاهم الله جميعا عنا خير الجزاء.

أما الشخصية الأخرى التى كان لها تأثير كبير فى حياتى وحيـــاة أختى الكبرى صاحبة القصة الأستاذة كريمة شاهين .. فهـــى شخصـــية شاب .. كم كان مفعما بالحياة– !! كم كانت أحلامه تسع عالماً واسعا .. ومملكة فاضلة كل ما فيها ينبض بالمثل العليا والفضيلة كم كان قارئا ... يلتهم الكتب من شتى الثقافات التهاماً ... يتغذى على الفكـــر .. ويتســـلى بالعبادة ويتكلم بالذكر إذا كان فى جيبه بضعة جنيهات للطعام والشـــراب وما يقيم الحياة .. جاع وأنفقها فى شـــراء الكتـــب والمجـــلات الثقافيـــة الموسوعة التى كانت تجتذب الشباب اجتـــذابا فـــى ذلـــك الوقـــت فـــى

الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى وأعترف للقارئ ... أن معظم قراءاتى فى الأدب الغربى كانت من إمدادات ذلك الشاب الحلم .. نجيب الكيلانى .. الذى كان يكاد يعيش فى بيتنا مترددا على شيخه - أبى يأخذ منه العلم والمعرفة والدين ...، وكان لا يدخل البيت عندنا إلا وهو يحمل بين يديه عشرات الكتب فى شتى المجالات .. إننى لم أقــرأ مســرحيات شكسبير - معظمها - قراءة دقيقة وباستمتاع إلا حينما غزت بيتنا عــن طريق الشاب نجيب الكيلانى ... وكذلك معظم القصص الغربى والفكــر الإنجليزى والفرنسى والروسي ومعظــم القصــص والشــعر العربــى والمصرى لكبار الكتاب .. هذه القراءات مع القراءات الإسلامية .. مــع عطاء الله المعجز العجيب "الموهبة" انصهرت كلهــا وكونــت بــداخلنا شخصية إسلامية تعرف جوهر الدين .. وتحيط بكيانه وأساسه .. وتحبه وتعشقه ... وتتغلغل قطرات نوره فى قطرات دمنا .. وتفرز كتاباتنا عن إسلامنا العظيم بقلم رشيق ناعم حبيب يلمس القلب قبل أن يغزو العقل .. ويأخذ بيد القارئ أو السامع بلطف ورفق إلى محراب الإسلام الذى يرى فيه النور ويعيشه ويتغذى عليه ... ، ولقد صار الطبيب الأديب نجيــب الكيلانى زوجا لأختى صاحبة القصة فعاشت معه ســنوات مــن الثــراء والعطاء .. وقرأت كل كلمة كتبها فى الشعر العذب والقصص الهــادف النبيل والتنظير للأدب الإسلامى الذى هو فريد ورائــد فــى مجالــه..، وكتبت بقلمهــا القصــص القصــيرة والطويلــة والبــرامج الإذاعيــة والمسلسلات.. ونالت الجوائز الطيبة عن كثير من كتاباتها ...

وعدتك أيها القارئ الكريم ألا أطيل عليك .. وها أنا أوفى بوعدى لك .. لأتركك تستمتع وتستفيد بهذه القصة الناعمة الملمس .. العميقة المغزى .. سائلة ربى تبارك وتعالى أن يتقبل منها هذا العمل وأن يجعله خطوة على طريق الحق .. وأن يسامحنى إن كانت قد وردت بعض عبارات أزكى فيها صاحبة العمل وأزكى فيها نفسى ...

فاللهم هذا ظنى ولا أزكى نفسى ولا أحداً من خلقك عليك .. وأسألك بهذا الدعاء الوارد عن سيد خلق الله الرسول صلى الله عليه وسلم: " **رب زدنى علماً وألحقنى بالصالحين** " .. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

نفيسة شاهين

مذيعة بالإذاعة والتلفزيون

رئيس الإدارة المركزية لإذاعة وتلفزيون القناة بالإسماعيلية

٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٣ هـ

الموافق أول مارس ٢٠٠٣م

كتب للمؤلفة

١- أخر حوار مع نجيب الكيلانى	دراسة
٢- الملكة	الرواية
٣- الأمنية الخضراء	قصة
٤- حسناء الجبل الأحقب	قصة من وحى الإمارات
٥- نجيب الكيلانى كما عرفته	دراسة
٦- صيحة	قصة
٧- دموع الحب	مجموعة قصص قصيرة – تحت الطبع
٨- الإمارات فى أدب نجيب الكيلانى	دراسة – تحت الطبع
٩- بحار	ديوان شعر – تحت الطبع
١٠- أمينة	قصة
١١- أحبها ولكن	قصة
١٢- نخلة أفندى	قصة

المراجـــــع

١- القرآن الكريم والسنة.

كتب الحديث

٢-صحيح البخارى - المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٠هـ

٣-صحيح مسلم - المطبعة المصرية بالأزهر الشريف ١٣٤٧ هـ

٤-مسند الإمام أحمد بن حنبل - نشر الكتب الإسلامى بيروت ١٣٨٩ هـ

كتب التفسير :

١- الحافظ بن كثير - المجلد الثانى سورة النحل - دار القرآن الكريم بيروت.

٢-سيد قطب - فى ظلال القرآن - المجلد الرابع - سورة النحل - دار الشروق

المراجع العربية الأخرى :

١- الطب النبوى تأليف الدكتور نجيب الكيلانى رائد الأدب الإسلامى العالمى نشر مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - ١٩٨٥م

٢-نوال عبد القادر كعكة تربية النحل ، ودودة القز ، منشورات جامعة حلب سوريا ١٩٨٩ م.

٣-نحل العسل – منتجاتها وفوائدها الطبية – العسل – حبوب اللقاح – الشمع – العكبر (البروبوليس) – الغذاء الملكى – السم – الحضنة.

للدكتور – وليد عبد الغنى كعكه – ندوة الثقافة والعلوم – بدبى – الإمارات

٤-النحلة تسبح الله تأليف مهندس صلاح بدران نشر المختار الإسلامى

٥-أوجه من الإعجاز العلمى فى عالم النحل – اللبن وتركيبه الكميائى – الحبة السوداء نشر المجلس الأعلى للمساجد – هيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة بمقر رابطة العالم الإسلامى – مكة المكرمة .. تأليف الدكتور عبد المنعم محمد الحفنى – أستاذ النحل والحشرات بكلية الزراعة جامعة الأزهر. وكلية الأرصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة – جامعة الملك عبد العزيز – جدة .

٦-إحياء علوم الدين – لحجة الإسلام – أبو حامد الغزالى – الدار القومية للطباعة والنشر ودار الوثائق بالقاهرة (١٦) جزء

محتويات الكتاب

رقم الإيداع : ٢٤٦٢٠ / ٢٠٠٦

I.S.B.N.

977 - 17 - 4166 - 7

مطابع غباشى بطنطا - ت : ٣٣٣٤٨٩٨

